

وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَضْتُمْ هَٰلِكِي الدُّنْيَا
فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

46- سورة الأحقاف- مكية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝١ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ تَخْشَوْنَ كِتَابَ يَوْمِ هَذَا أَوْ أَثَرَهُ مِنَ عِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٤
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥

{ وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا } ظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم { وَحَاقَ بِهِمْ } نزل { مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {

نزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به و بوقوعه و بمن جاء به **33**

{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ} نترككم في العذاب-نعاملكم معاملة الناسي لكم في النار

{ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ

{وَمَا أَوْلَاكُمْ} مفرکم و مصیرکم {النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ} ینصرونکم من عذاب الله و یدفعون عنکم عقابه 34

{ذَلِكَمُ} الذي حصل لكم من العذاب

{ب} سبب {بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا} مع أنها موجبة للجد و الاجتهاد و تلقيها بالسرور و الاستبشار و الفرح.

{وَعَزَّكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} بزخارفها ولذاتها وشهواتها فاطمأنتم إليها وعلتم لها و تركتم العمل للدار الباقية.

{فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ} و لا يمهلون و لا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا- لا يطلب منهم

الْعُتْبَىٰ بَلْ يُعَذِّبُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَ لَا عِتَابٍ كَمَا تَدْخُلُ طَائِفَةٌ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَ لَا عَذَابٍ 35

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فضل و كبرياء الله

أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم و رباهم و أنعم عليهم بالنعمة الظاهرة و الباطنة **36**

{وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} له الجلال و العظمة و المجد. فالحمد فيه الشاء على الله بصفات الكمال

و محبته تعالى و إكرامه والكبرياء فيها عظمتة و جلاله و العبادة مبنية على ركنين :- 1- محبة الله 2- و الذل له و هما ناشئان عن العلم بمحامد الله و جلاله و كبريائه-

*مسلم 2620- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:- الْعِزُّ إِزَارُهُ وَ الْكِبَرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يَنَازِعْنِي عَذَّبْتُهُ

{وَهُوَ الْمَزِيدُ} القاهر لكل شيء **{الْحَكِيمُ}** الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة و مصلحة و لا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة و منفعة 36

46- تفسير سورة الأحقاف- و هي مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

(حَمَّ 1 تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز و تعظيم له و في ضمن ذلك

اثبات القدرة الالهية
و مناقشة المشركين 12-1

إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره و الإقبال على تدبر آياته و استخراج كنوزه.

و لما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر و النهي ذكر خلقه السماوات و الأرض

فجمع بين الخلق و الأمر **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}** [الأعراف: 54]

كما قال تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}** [الطلاق: 12]

و كما قال تعالى: **{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}** [النحل: 2]

فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين و خلق مساكنهم و سخر لهم ما في السماوات و ما في الأرض

ثم أرسل إليهم رسله و أنزل عليهم كتبه و أمرهم و نهاهم

و أخبرهم أن هذه الدار دار أعمال و ممر للعمال لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها

و أنهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة و القرار و موطن الخلود و الدوام

و إنما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملا موفرا.

و أقام تعالى الأدلة على تلك الدار وأذاق العباد نموذجا من الثواب والعقاب العاجل ليكون أدعى لهم إلى طلب

المحبوب و الهرب من المرهوب 2

{مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} لا عبثا و لا سدى بل ليعرف العباد عظمة خالقهما

و يستدلوا على كماله و يعلموا أن الذي خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء

و أن خلقهما و بقاءهما مقدر إلى **{وَأَجَلٌ مُّسَمًّى}** معلوم عنده

○ فلما أخبر بذلك -و هو أصدق القائلين و أقام الدليل و أنار السبيل أخبر -مع ذلك-

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ} {أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضا عن الحق و صدوفا عن دعوة الرسل

و أما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم

و تلقوها بالقبول و التسليم و قابلوها بالانقياد و التعظيم ففازوا بكل خير و اندفع عنهم كل شر 3

{ قُلْ } لهؤلاء الذين أشركوا بالله

(أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أوثاننا و أندادا لا تملك نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا
قل لهم -مينا عجز أوثانهم و أنها لا تستحق شيئا من العبادة:-

{ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ }

هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئا؟

هل خلقوا جبالا؟ هل أجروا أنهارا؟ هل نشروا حيوانا؟ هل أنبتوا أشجارا؟

هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلا عن غيرهم

فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي فقال: { أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا } الكتاب يدعو إلى الشرك

{ أَوْ أَتُكْفَرُ مِنْ عِلْمٍ } موروث عن الرسل يأمر بذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 4

من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك

بل نجزم و نيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم و نهوا عن الشرك به و هي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم

قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل: 36]

و كل رسول قال لقومه: { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف: 59]

-فَعَلِمَ أَنْ جَدَالَ الْمُشْرِكِينَ فِي شَرْكِهِمْ غَيْرَ مُسْتَنِدِينَ فِيهِ عَلَى بَرَهَانٍ وَ لَا دَلِيلٍ

-و إنما اعتمدوا على ظنون كاذبة و آراء كاسدة و عقول فاسدة.

يدلك على فسادها استقراء أحوالهم و تتبع علومهم و أعمالهم و النظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته

هل أفادهم شيئا في الدنيا أو في الآخرة؟

و لهذا قال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }

مدة مقامه في الدنيا لا ينتفع به بمشقال ذرة

{ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }

لا يسمعون منهم دعاء و لا يجيبون لهم نداء هذا حالهم في الدنيا و يوم القيامة يكفرون بشركهم 5

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِتَنَادٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَثَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحَّمْتُهُ هَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

{وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ} يلعن بعضهم بعضا و يتبرأ بعضهم من بعض

{وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} كما قال الله {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوتَانَا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت: 17] 6

{وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ} علي المكذبين {ءَايَتُنَا بِتَنَادٍ} بحيث تكون على وجه لا يُمتري بها و لا يشك في وقوعها

و حقها لم تفدهم خيرا بل قامت عليهم بذلك الحجة و يقولون من إفكهم و افتراءهم

{ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ }

أى: ظاهر لا شك فيه و هذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول و إلا فبين الحق الذي

جاء به الرسول ﷺ و بين السحر من المنافاة و المخالفة أعظم مما بين السماء والأرض

و كيف يقاس الحق -الذي علا وارتفع ارتفاعا على الأفلاك و فاق بضوئه و نوره نور الشمس وقامت الأدلة

الأفقية والنفسية عليه و أقرت به و أذعنت أولو البصائر و العقول الرزينة- بالباطل الذى هو السحر الذى

لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل؟!

فهو مناسب له و موافق لحاله وهل هذا إلا من البهرجة؟

أى: افتري محمد هذا القرآن من عند نفسه فليس هو من عند الله 7

{قُلْ} لهم: {إِنِ افْتَرَيْتُهُ} فالله عني قادر و بما تفيضون فيه عالم فكيف لم يعاقبني على افترائي الذي زعمتم؟

{ أَقْرَبَهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } فهل تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ

*كقوله **{ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا 22 إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ }** [الجن: 22- 23]

(هُوَ) تعالى (أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ) تخوضون (فيه) من القدح و الطعن في و في القرآن

{ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ }

فلو كنت متقولاً عليه لأخذ مني باليمين و لعاقبني عقاباً يراه كل أحد لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولاً

{ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } ثم دعاهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة الحق و مخاصمته

فقال: أى فتوبوا إليه و أقلعوا عما أنتم فيه يغفر لكم ذنوبكم و يرحمكم فيوفقكم للخير و يشيكم جزيل الأجر .

كألاية **{ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا 5 قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }**

إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان: 6 5] 8

{ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ } أى: لست بأول رسول جاءكم حتى تستغربوا رسالتي و تستنكروا دعوتي

فقد تقدم من الرسل و الأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم فلاي شيء تنكرون رسالتي؟

{ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ }

أى: لست إلا بشراً ليس بيدي من الأمر شيء و الله تعالى هو المتصرف بي و بكم الحاكم علي و عليكم

{ إِنْ أُنِيجُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ } و لست الآتي بالشيء من عندي **{ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ }**

فإن قبلتم رسالتي وأجبت دعوتي فهو حظكم و نصيبكم في الدنيا و الآخرة و إن رددتم ذلك علي فحسابكم

على الله و قد أنذرتكم و من أنذر فقد أعذر 9

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ } {أخبروني (إن كان) لو كان هذا القرآن

(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ) على صحته (شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ)

الموفقون من أهل الكتاب الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق

(فَنَامَنَ) فآمنوا به و اهتدوا فتطابقت أنباء الأنبياء و أتباعهم النبلاء

و (وَأَسْتَكَرْتُمْ) أيها الجهلاء الأغبياء فهل هذا إلا أعظم الظلم و أشد الكفر؟

*البخاري 3812 -عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ " قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

{ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ } [الأحقاف: 10] الآية

قَالَ: «لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكُ الْآيَةَ أَوْ فِي الْحَدِيثِ»

فان هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام و هي كقوله

{ وَإِذَا يُثْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ } [القصص: 53]

{ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُثْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّةً 10 وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ

رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا } [الإسراء: 107 108]

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } و من الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه.

*الصحيح المسند من اسباب النزول عن عوف بن مالك قال:

انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: "يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه" قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد ثم ثلث فلم يجبه أحد فقال: أبيتكم فوالله إني لأنا الناحش وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى آمنتم أو كذبتكم. ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد. قال: فأقبل. فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك.

قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة قالوا:

كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا فيه شراً قال رسول الله ﷺ:

كذبتكم لن يقبل قولكم أما أنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنتتم

و لما آمن أكذبتكم وهو قلتم فيه ما قلتم فلن يقبل قولكم

قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله عز وجل فيه:

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [الاحقاف 10] 10

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } أي: قال الكفار بالحق { لِلَّذِينَ آمَنُوا } معاندين له و رادين لدعوته:

{ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } أي: ما سبقنا إليه المؤمنون أي: لكننا أول مبادر به وسابق إليه

و هذا من البهرجة في مكان فأى دليل يدل على أن علامة الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟

هل هم أذكى نفوساً؟ أم أكمل عقولاً؟ أم الهدى بأيديهم؟

و لكن هذا الكلام الذي صدر منهم يعزون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه .

يَعْنُونَ بِلَا وَ عَمَارًا وَ صُهِيبًا وَ حَبَابًا وَ أَشْبَاهَهُمْ وَ أَقْرَانَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَ الْعَبِيدِ وَ الْإِمَاءِ وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاهَةً وَ لَهُ بِهِمْ عِنَايَةً.

وَقَدْ غَلَبُوا فِي ذَلِكَ غَلَطًا فَاحِشًا وَ أَخْطَأُوا خَطَأً بَيِّنًا

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} [الأنعام: 53]

*أى: يَتَعَجَّبُونَ: كَيْفَ اهْتَدَى هَؤُلَاءِ دُونَنَا وَلِهَذَا قَالُوا: {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ فَعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ: (((هُوَ بِدْعَةٌ))) لَأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَرَكُوا خَصْلَةَ مَنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا

و لهذا قال:- {وَلِإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ}

أى: هذا السبب الذي دعاهم إليه أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن و فاتهم أعظم المواهب و أجل الرغائب

{فَسَيَقُولُونَ هَذَا} قدحوا فيه بأنه {إِفْكٌ} كذب {قَدِيمٌ} و هو الحق الذي لا شك فيه و لا امتراء يعتريه 11

{وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى} الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصا أكملها و أفضلها بعد القرآن و هى التوراة التي أنزلها الله على موسى

{إِمَامًا وَرَحْمَةً} أى: يقتدى بها بنو إسرائيل و يهتدون بها فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة.

{وَهَذَا} القرآن {كِتَابٌ مُصَدِّقٌ} للكتب السابقة شهد بصدقها و صدَّقها بموافقتها لها و جعله الله {لِسَانًا عَرَبِيًّا} ليسهل تناوله و ييسر تذكره

{لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} أنفسهم بالكفر و الفسوق و العصيان إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الويليل

{وَبُشْرَى الْمُحْسِنِينَ} و يبشر المحسنين في عبادة الخالق و فى نفع المخلوقين بالشواب الجزيل في الدنيا و الآخرة و يذكر الأعمال التي ينذر عنها و الأعمال التي يبشر بها 12

جزاء المتقين 13-14

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ}

أى: إن الذين أقروا بربهم و شهدوا له بالوحدانية و التزموا طاعته و داموا على ذلك

{ثُمَّ} و {أَسْتَقْنَمُوا} مدة حياتهم

{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} من كل شر أُمَامِهِمْ (فيما يستقبلون)

{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خَلَّفُوا وراءهم 13

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} أى: أهلها الملازمون لها الذين لا يبغون عنها حولا و لا يريدون بها بدلا

{خَالِدِينَ فِيهَا جزاء بما كانوا يعملون} من الأمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها 14

.....

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا^٤
 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
 وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَلِإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ
 أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ مَا أَتَدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ آيَاتِ
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ
 مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا لِيُوقِفَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبْتُمْ طَبِيبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
 بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

الوصية بالوالدين 15-16

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا)

قوله {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} مِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا
 تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا {الإسراء: 23}

*الطيالسي 205 - عن: مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ... قَالَ: وَ قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ فَلَا آكُلُ
 طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِاللَّهِ فَاُمْتَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّىٰ جَعَلُوا يَشْجُرُونَ فَاهَا بِالْعَصَا
 وَ نَزَلَتْ {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} [العنكبوت: 8]

هذا من لطفه تعالى بعباده و شكره للوالدين أن وصى الأولاد و عهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بد:-
 القول اللطيف و الكلام اللين و بذل المال و النفقة و غير ذلك من وجوه الإحسان.

(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ.)

ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها
 ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة الرضاع و خدمة الحضانة
 -و ليست المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين و إنما ذلك مدة طويلة قدرها

{ثَلَاثُونَ شَهْرًا} للحمل تسعة أشهر و نحوها و الباقي للرضاع هذا هو الغالب.

و يستدل بهذه الآية مع قوله:- {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ} أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة
 الرضاع -وهي سنتان- إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل

{حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ} أي: نهاية قوته و شبابه و كمال عقله

{وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيْ وَ وَفَّقْنِيْ}

{أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ} أى: نعم الدين و نعم الدنيا و شكره بصرف النعم في طاعة

مسيديها و موليتها و مقابلته منته بالاعتراف و العجز عن الشكر و الاجتهاد في الشاء بها على الله

و النعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم لأنهم لا بد أن ينالهم منها و من أسبابها و آثارها خصوصا :-
نعم الدين فإن صلاح الوالدين بالعلم و العمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم.

{وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} تتقبله عنى - بأن يكون جامعا لما يصلحه سالما مما يفسده

فهذا العمل الذي يرضاه الله و يقبله و يثيب عليه.

{وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} لَمَّا دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم

و ذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله: {وَأَصْلِحْ لِي}

{لَئِنْ ثَبَّتُ إِلَيْكَ} من الذنوب و المعاصى و رجعت إلى طاعتك {وَلِئِنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} 15

{أُولَئِكَ} الذين ذكرت أوصافهم {الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} و هو الطاعات لأنهم يعملون أيضا غيرها.

{وَنَجَّوْهُمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ} في جملة {فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ} فحصل لهم الخير والمحسوب و زال عنهم الشر و المكروه.

{وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}

أى: هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادق من أصدق القائلين الذى لا يخلف الميعاد 16

*لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه ذكر حالة العاق و أنها شر الحالات فقال:-

{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ} إذ دعواه إلى الإيمان بالله و اليوم الآخر و خوفاه الجزاء.

و هذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية و فلاحه السرمدى

فقابلهما بأقبح مقابلة

جزاء العاق و المستكبرين 17-20

فقال: {أَفِي لَكُمْ} نتنأ و قبحاً لكما-أى: تبا لكما و لما جئتما به.

-ثم ذكر وجه استبعاده و إنكاره لذلك فقال: {أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ} من قبري إلى يوم القيامة

{وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي}

على التكذيب و سلفوا على الكفر و هم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور و جهول و معاند؟

{وَهُمَا} أى: والداه {يَسْتَعْثِنَانِ اللَّهَ} عليه و يقولان له:-

{وَيْلَكَ ءَايَمِنَ} أى: يبذلان غاية جهدهما و يسعيان في هدايته أشد السعى

حتى إنهما -من حرصهما عليه- أنهما يستغيثان الله له استغاثة الغريق
و يسألانه سؤال الشريق و يعذلان ولدهما و يتوجعان له و يبينان له الحق فيقولان:

{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما و ولدهما لا يزداد إلا عتوا و نفورا
و استكبارا عن الحق و قدحا فيه

{فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا} منقول من (أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ) كتب المتقدمين ليس من عند الله و لا أوحاه الله إلى رسوله
و كل أحد يعلم أن محمدا ﷺ أمي لا يكتب و لا يقرأ و لا تعلم من أحد فمن أين يتعلمه؟
و أنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ؟ **17**

{أُولَئِكَ} بهذه الحالة الذميمة **{الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}** أى: حقت عليهم كلمة العذاب

{فِي} جملة **{أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ}** على الكفر و التكذيب

{لَا إِلَهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ} و الخسران فوات رأس مال الإنسان و إذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى

و أخرى فهم قد فاتهم الإيمان و لم يحصلوا على شيء من النعيم و لا سلموا من عذاب الجحيم **18**

{وَلِكُلٍّ} من أهل الخير و أهل الشر

{دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا} كل على حسب مرتبته من الخير و الشر و منازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم

و لهذا قال: **{وَلِيُوقِبَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** بأن لا يزداد في سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم **19**

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون و يقرعون

فيقال لهم: **{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}**

حيث اطمأنتم إلى الدنيا و اغتررتم بلذاتها و رضيتم بشهواتها و ألهتكم طيباتها عن السعي لآخرتكم
و تمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم

{فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}

الخزى و الهوان-العذاب الشديد الذي يهينكم و يفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق

{بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} أى: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله و إلى حكمه

و أنتم كذبة في ذلك **{وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}** أى: تتكبرون عن طاعته

فجمعوا بين قول الباطل و العمل بالباطل و الكذب على الله بنسبته إلى رضاه و القدح في الحق و الاستكبار

عنه فعوقبوا أشد العقوبة **20**

وَأَذْكُرَ آحَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِأَلْحَقَافٍ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِّكَ عَنْ ءَاهِتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾
 قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ
 قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا
 فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَفُتَّةً ۖ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا فَتْنَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ
 إِذْ كَانُوا يَمْجَدُّونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى
 وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَهَةً
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٨﴾

{وَأَذْكُرَ} بالبناء الجميل

قصة هود 21-28

{آحَا عَادٍ} هو هود عليه السلام حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه و إرشاد الخلق إليه
 {إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ} و هم عاد {بِأَلْحَقَافٍ} في منازلهم المعروفة بالأحقاف و هى: الرمال الكثيرة في أرض اليمن.
 {وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} فلم يكن بدعا منهم و لا مخالفا لهم قائلا لهم:-
 {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} فأمرهم بعبادة الله الجامعة لكل قول سديد و عمل حميد و نهاهم عن الشرك و التنديد
 {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} و خوئهم- إن لم يطيعوه- العذاب الشديد فلم تغد فيهم تلك الدعوة 21
 {قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِّكَ عَنْ ءَاهِتِنَا} {وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} و هذا غاية الجهل و العناد 22

أى: ليس لك من القصد و لا معك من الحق إلا أنك حسدتنا على آلهتنا فأردت أن تصرفنا عنها.

{فَأِنَّا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} و هذا غاية الجهل و العناد 22

{قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ} فهو الذي بيده أزمة الأمور و مقاليدها و هو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء.

{وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} أى: ليس عاى إلا البلاغ المبين

{وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ} فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة 23

فأرسل الله عليهم العذاب العظيم و هو الريح التي دمرتهم و أهلكتهم و لهذا قال:-

{فَلَمَّا رَأَوْهُ} أى: العذاب

{عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ}

أى: معترضا كالسحاب قد أقبل على أوديتهم التي تسيل فتسقي نوابتهم و يشربون من آبارها و غدرانها.

{قَالُوا} مستبشرين:- {هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا} أى: هذا السحاب سيمطرنا.

قال تعالى: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ} أى: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم حيث قلتم:

{فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ} آية 22

{رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} 24

{تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ} تمر عليه من شدتها و نحسها. فسلطها الله عليهم

{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة: 7]

{بِأَمْرِ رَبِّهَا} أى: بإذنه و مشيئته

{فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ} قد تلفت مواشيهم و أموالهم و أنفسهم.

{كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} بسبب جرمهم و ظلمهم.

*صحيح البخاري :-4829 - عن عائشة: وَ كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَ أَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَوَاهِيَةُ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟
عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ وَ قَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا)

هذا مع أن الله تعالى قد أدر عليهم النعم العظيمة فلم يشكروه و لا ذكروه 25

و لهذا قال: {وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ}

أى: مكناهم في الأرض يتناولون طبياتها و يتمتعون بشهواتها

و عمرناهم عمرا يتذكر فيه من تذكر و يتعظ فيه المهتدى

أى: و لقد مكنا عادا كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون

أى: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص بكم و أنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئا بل غيركم أعظم منكم

تمكيننا فلم تغن عنهم أموالهم و لا أولادهم و لا جنودهم من الله شيئا.

{وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً}

أى: لا قصور في أسماعهم و لا أبصارهم و لا أذهانهم حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلا منهم و عدم تمكن من

العلم به و لا خلل في عقولهم و لكن التوفيق بيد الله.

{فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} لا قليل و لا كثير و ذلك بسبب

{إِذْ كَانُوا يَمْجَدُونَ بِثَابِتِ اللَّهِ} الدالة على توحيده و إفراده بالعبادة.

{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} أى:

نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه و يستهزئون بالرسل الذين حذروهم منه **26**

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ}

يحذر تعالى مشركي العرب و غيرهم بإهلاك الأمم المكذبين الذين هم حول ديارهم بل كثير منهم في جزيرة العرب كعاد و ثمود و نحوهم

{وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ} و أن الله تعالى صرف لهم الآيات أى: نَوَّعَهَا من كل وجه

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عما هم عليه من الكفر و التكذيب **27**

فلما لم يؤمنوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر و لم تنفعهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء

و لهذا قال هنا: {فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً} ^ط

أى: يتقربون إليهم و يتألهونهم لرجاء نفعهم.

{بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ} فلم يجيبوهم و لا دفعوا عنهم

{وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}

من الكذب الذي يمتنون به أنفسهم حيث يزعمون أنهم على الحق و أن أعمالهم ستنفعهم فضلت و بطلت **28**

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ
 وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَتَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَتَقَوْمَنَا آجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ
 وَيُجَزَّكَم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ
 أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ
 عَلَىٰ أَن يُخَيِّقَ الْمَوْقِفَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ
 قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
 وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلُغْ
 فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

*الصحيح المسند من أسباب النزول-الحاكم عن زرّ عن عبد الله رضي الله عنه قال:-
 هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا. قَالُوا: صَبْرًا.
 وَكَانُوا تِسْعَةَ أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ
 فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا} [الأحقاف: 29] الآية إِلَى {ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران 164]

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ} كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق إنسهم و جنهم

ايمان بعض الجن بالاسلام 29-32

و كان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة و الرسالة.

فالإنس يمكنه عليه الصلاة و السلام دعوتهم و إنذارهم و أما الجن فصرفهم الله إليه بقدرته و أرسل إليه

{نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا} أى: وصى بعضهم بعضا بذلك

{فَلَمَّا قُضِيَ} و قد وعوه و أثر ذلك فيهم {وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ}

نصحا منهم لهم و إقامة لحجة الله عليهم و قيصهم الله معونة لرسوله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته في الجن 9

لأن كتاب موسى أصل للإنجيل و عمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع

و إنما الإنجيل متمم و مكمل و مغير لبعض الأحكام.

{مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي} هذا الكتاب الذي سمعناه {إِلَى الْحَقِّ} و هو الصواب في كل مطلوب و خبر

{وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} موصل إلى الله و إلى جنته من العلم بالله و بأحكامه الدينية و أحكام الجزاء 30

فلما مدحوا القرآن و بينوا محله و مرتبته دعوهم إلى الإيمان به فقالوا:-

{يَقَوْمَنَا} أى: الذي لا يدعو إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه و لا هوى فيه دلالة على أن محمدا أرسل الي الثقلين و قرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين (أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ) و إنما يدعوكم إلى ربكم ليشيكم و يزيل عنكم كل شر و مكروه و لهذا قالوا:-

{يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ}

و إذا أجارهم من العذاب الأليم فما ثم بعد ذلك إلا النعيم فهذا جزاء من أجاب داعي الله 31

{وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ} فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب و لا يغالبه مغالب. {وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ} أنصار

{أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} و أى ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل

و وصلت إليه النذر بالآيات البينات و الحجج المتواترات فأعرض و استكبر؟ "

*البخاري 773- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقٍ عُكَازٍ وَ قَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا:

حِيلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ

قَالُوا: مَا حَالُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا

فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَ هُوَ بَنَخْلَةٌ عَامِدِينَ إِلَى سُوقٍ عُكَازٍ وَ هُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهَذَا حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ

وَ قَالُوا: يَا قَوْمَنَا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: 2]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} [الجن: 1] وَ إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ 32

{أَوَلَمْ يَرَوْا} أى: هؤلاء المُنْكَرُونَ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُسْتَبْعِدُونَ لِقِيَامِ الْأَجْسَادِ يَوْمَ الْمَعَادِ

اثبات البعث و تهديد منكريه 33-35

{أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ} يعجز (يَخْلِفُهُنَّ)

أى: وَ لَمْ يَكْرُثْ خَلْقَهُنَّ بَلْ قَالَ لَهَا: "كُونِي فَكَانَتْ بِلَا مُمَانَعَةٍ وَ لَا مُخَالَفَةٍ بَلْ طَائِعَةً مُجِيبَةً خَائِفَةً وَجَلَّةً (يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ) أَفَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: 57]

وَ لِهَذَا قَالَ: {بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 33

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) أما هذا حق؟ أفسحّر هذا؟ أم أنتم لا تبصرون؟

هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها
و هو أنه الذي خلق السماوات و الأرض على عظمهما و سعتهما و إتقان خلقهما من دون أن يكثر بذلك
و لم يعى بخلقهن فكيف تُعجزُ إعادةكم بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟
يخبر تعالى عن حال الكفار الفظيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها و أنهم يويخون
و يقال لهم: **{الَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ}** فقد حضرتموه و شاهدتموه عيانا؟

{قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا} فاعترفوا بذنبهم و تبين كذبهم

{قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} عذابا لازما دائما كما كان كفركم صفة لازمة **34**

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) نُوحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلُّهُمْ ﷺ

ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له و أن لا يزال داعيا لهم إلى الله
و أن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم و الهمم العالية الذين عظم صبرهم
و تم يقينهم فهم أحق الخلق بالأسوة بهم و القفو لآثارهم و الاهتداء بمنارهم.
○ فامثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبورا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة و قاموا جميعا
بصدده عن الدعوة إلى الله و فعلوا ما يمكنهم من المعادة و المحاربة و هو ﷺ لم يزل صادعا بأمر الله مقيما
على جهاد أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى

حتى مكن الله له في الأرض و أظهر دينه على سائر الأديان و أمته على الأمم فصلى الله عليه وسلم تسليما.

{وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} أي: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب

فإن هذا من جهلهم و حمقهم فلا يستخفنك بجهلهم و لا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله
عليهم بذلك فإن كل ما هو آت قريب كقوله **{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلُهم قَلِيلًا}** [المزمل: 11]

{كَانْتُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ} فلا يحزنك تمتعهم القليل و هم صائرون إلى العذاب

{بَلَعُ} هذه الدنيا متاعها و شهوتها و لذاتها بُلغة منغصة و دفع وقت حاضر قليل.

أو هذا القرآن العظيم الذي بينا لكم فيه البيان التام بلاغ لكم و زاد إلى الدار الآخرة

{فَهَلْ يُهْلَكُ} بالعقوبات

* لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ وَ هَذَا مِنْ عَدْلِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ

{إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ}

الذين لا خير فيهم و قد خرجوا عن طاعة ربهم و لم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل.

و أعذر الله لهم و أندرهم فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم و كفرهم نسأل الله العصمة **35**

47- سورة محمد-مدنية ﴿س﴾ ————— **اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَقٌّ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَتَا بَعْدُ وَإِمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهُمْ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

هذه الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين و عقاب العاصين و السبب في ذلك و دعوة الخلق إلى

جزاء و أحوال الكفار و المؤمنين 1-3

الاعتبار بذلك فقال: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

و هؤلاء رؤساء الكفر و أئمة الضلال الذين جمعوا بين الكفر بالله و آياته و الصد لأنفسهم و غيرهم عن سبيل الله التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل و اتباعه.

فهؤلاء {أَضَلَّ} الله {أَعْمَالَهُمْ} أي: أبطلها و أشقاهم بسببها

و هذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق و أولياء الله أن الله جعل كيدهم في نحورهم

فلم يدركوا مما قصدوا شيئا و أعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها أن الله سيحبطها عليهم

و السبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل:- و هو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام و الأوثان

و الأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة كانت الأعمال لأجلها باطلة.

كقوله {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23] 1

و أما {وَالَّذِينَ} بما أنزل الله على رسله عموما و على محمد ﷺ خصوصا {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}

بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله و حقوق العباد الواجبة و المستحبة.

{وَأَمِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}

عطف خاص على عام و هو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته

{كَفَرُوا} {لَهُمْ سَعَاتِهِمْ} صغارها و كبارها و إذا كفرت سيئاتهم نجوا من عذاب الدنيا و الآخرة {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}

أى: أصلح دينهم و دنياهم و قلوبهم و أعمالهم و أصلح ثوابهم بتنميته و تركيته و أصلح جميع أحوالهم 2

و السبب (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ)

الذي هو الصدق و اليقين و ما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم الصادر (من رَبِّهِمْ)

الذي رباهم بنعمته و دبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه فصلحت أمورهم

○ فلما كانت الغاية المقصودة لهم متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين كانت الوسيلة صالحة باقية باقيا ثوابها.

{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} حيث بين لهم تعالى أهل الخير و أهل الشر و ذكر لكل منهم صفة يعرفون بها

و يتميزون {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} [الأفال: 42] 3

الأمر بالجهاد و ثوابه 4-6

يقول تعالى -مرشدا عباده إلى ما فيه صلاحهم و نصرهم على أعدائهم:-

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} في الحرب و القتال (فَضْرَبَ الرِّقَابَ) فاصدقوهم القتال و اضربوا منهم الأعناق

(حَقًّا إِذَا تَخَشَّمُوهُمْ)

حتى تشنوهم و تكسروا شوكتهم و تبطلوا شرهم فإذا فعلتم ذلك و رأيتم الأسر أولى و أصلح

{فَسُدُّوا أَلْوَاكُ}

أى: الرباط و هذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا فإذا شد منهم الوثاق اطمأن المسلمون من هربهم و من شرهم

(فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) فإذا كانوا تحت أسركم فأنتم بالخيار بين المن عليهم و إطلاقهم بلا مال و لا فداء

(وَأِمَّا فِدَاءً)

و إما أن تغدوهم بأن لا تطلقوهم حتى يشتروا أنفسهم أو يشتريهم أصحابهم بمال أو بأسير مسلم عندهم.

و هذا الأمر مستمر {حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} أى: حتى لا يبقى حرب و تبقون في المسألة و المهادنة

فإن لكل مقام مقالا و لكل حال حكما فالحال المتقدمة إنما هي إذا كان قتال و حرب.

كقوله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: 193]

فإذا كان في بعض الأوقات لا حرب فيه لسبب من الأسباب فلا قتل و لا أسر.

{ **ذَلِكَ** } الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين و مداولة الأيام بينهم وانتصار بعضهم على بعض
{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْصَرَكُمْ مِنْهُمْ} فإنه تعالى على كل شيء قدير و قادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا
حتى يبيد المسلمون خضراءهم.

{ **وَلَكِنْ لِّبَلِّئُوا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ** } ليقوم سوق الجهاد و يتبين بذلك أحوال العباد الصادق من الكاذب
و ليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة
فإنه إيمان ضعيف جدا لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن و البلايا.

{ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** }

لهم ثواب جزيل و أجر جميل و هم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم لتكون كلمة الله هي العليا.

*الترمذى عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: 1- يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ 2- وَ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ 3- وَ يُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ

وَ يَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ 4- وَ يُوَضَّعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا

5- وَ يُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَ سَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ 6- وَ يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ

*مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»

{فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ})فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم أى:-

لن يحبطها و يبطلها بل يتقبلها وينميها لهم و يظهر من أعمالهم نتائجها في الدنيا و الآخرة **4**

{ **سَيَهْدِيهِمْ** } إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة كقوله

{ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ التَّعِيمِ** } [يونس: 9]

{ **وَيَصِلُحْ بِالْأَمْرِ** } أى: حالهم و أمورهم و ثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه و لا تنغيص بوجه من الوجوه **5**

{ **وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَمَتُمْ** }

أى: عرفها أولا بأن شوقهم إليها و نعتها لهم و ذكر لهم الأعمال الموصلة إليها التي من جملتها:-

القتل في سبيله و وفقهم للقيام بما أمرهم به و رغبتهم فيه ثم إذا دخلوا الجنة عرفهم منازلهم و ما احتوت عليه
من:- النعيم المقيم و العيش السليم.

*البخارى-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسِبُوا (=أوقفوا) بِقَنْطَرَةٍ (=كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه) بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ

فَيَتَقَاصُونَ (=يتراضون فيما بينهم و يتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض) مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا

حَتَّى إِذَا نَقُّوا وَهَذَّبُوا أُذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ مِمَّسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ

(=أكثر دلالة وأعرف) مَنَزَلَهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا 6

شروط النصر للمؤمنين و خذلان الكافرين و جزاؤهما 7-14

(يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ الْوَقَاقُ) كقولهُ {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} [الحج: 40]

هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه و الدعوة إليه و جهاد أعدائه و القصد بذلك وجه الله فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله

(وَبَيَّنَّتْ أَقْدَامَكُمْ) أى: يربط على قلوبهم بالصبر و الطمأنينة و الثبات و يصبر أجسامهم على ذلك

و يعينهم على أعدائهم فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال و الأفعال سينصره مولاه و ييسر له أسباب النصر من الثبات و غيره.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمُ) انتكاس من أمرهم و خذلان.

{وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق فرجع كيدهم في نحورهم و بطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله.

ذلك الإضلال و التعس للذين كفروا بسبب (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ)

من القرآن الذي أنزله الله صلاحا للعباد و فلاحا لهم فلم يقبلوه بل أبغضوه و كرهوه {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} 9

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) أى: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ

{فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب فإنهم لا يلتفتون يمنة

و لا يسرة إلا وجدوا ما حولهم قد بادوا و هلكوا و استأصلهم التكذيب و الكفر فحمدوا

(دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ) أموالهم و ديارهم بل دمر أعمالهم و مكرهم (وَالْكَافِرِينَ) فى كل زمان و مكان

(أَمْثَلُهَا) هذه العواقب الوخيمة و العقوبات الذميمة.

و أما المؤمنون فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب و يجزل لهم كثير الثواب 10

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا) فتولاهم برحمته فأخرجهم من الظلمات إلى النور و تولى جزاءهم و نصرهم

*البخارى عن البراء رضي الله عنه قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرِّمَاءِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ

وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا إِن رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا وَ إِن رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا»

فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَن سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَائِهِنَّ فَأَخَذُوا يَقُولُونَ:

الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا فَأَبَوْا فَلَمَّا أَبَوْا صُرفَ وُجُوهُهُمْ فَأُصِيبَ

سَبْعُونَ قَتِيلًا وَ أَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «لَا تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟

قَالَ: «لَا تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبْلُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ " قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعِزَّةُ وَ لَا عِزَّةٌ لَكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَ لَا مَوْلَى لَكُمْ»

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمَ بَيْتِ بَدْرٍ وَ الْحَرْبِ سَجَالٌ وَ تَجِدُونَ مِثْلَهُ لَمْ أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي

{وَأَنَّ الْكَافِرِينَ} بالله تعالى حيث قطعوا عنهم ولاية الله و سدُّوا على أنفسهم رحمة

{لَا مَوْلَى لَهُمْ} يهديهم إلى سبيل السلام و لا ينجيهم من عذاب الله و عقابه بل أولياؤهم الطاغوت

يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 11

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ
الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ
وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ
كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانِسَهُمْ نَفْسُهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا
فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَهُ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

لما ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين ذكر ما يفعل بهم في الآخرة من دخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار التي تسقي تلك البساتين الزاهرة و الأشجار الناطرة المثمرة لكل زوج بهيج و كل فاكهة لذيدة.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ)

و لما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم ذكر أنهم وُكِّلُوا إلى أنفسهم فلم يتصفوا بصفات المروءة و لا الصفات الإنسانية - بل نزلوا عنها دركات و صاروا كالأنعام التي لا عقل لها و لا فضل - بل جل همهم و مقصدهم التمتع بلذات الدنيا و شهواتها

فترى حركاتهم الظاهرة و الباطنة دائرة حولها غير متعدية لها إلى ما فيه الخير و السعادة

(وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) منزلا معدا لا يخرجون منها و لا يفتر عنهم من عذابها.

*البخاري 5393 - عَنْ نَافِعٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلْتُ كَثِيرًا فَقَالَ: يَا نَافِعُ لَا تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:-

الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ (وا لجمع أمعاء) وَ الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةٍ أَمْعَاءٍ (=كتابة عن الشره والرغبة في متاع الدنيا وملذاتها 12

(وَكَايْنِ) وكم (مِنْ قَرْيَةٍ) من قرى المكذبين

(هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ) في الأموال و الأولاد و الأعوان و الأبنية و الآلات (الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ)

{أَهْلَكْنَاهُمْ} حين كذبوا رسلنا و لم تفد فيهم المواعظ

(فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) فلا نجد لهم ناصرا و لم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئا ﴿١٣﴾

(أَفَن كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)

لا يستوى من هو على بصيرة من أمر دينه علما و عملا قد علم الحق و اتبعه و رجا ما وعده الله لأهل الحق

(كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) كمن هو أعمى القلب قد رفض الحق و أضله

(وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) و اتبع هواه بغير هدى من الله و مع ذلك يرى أن ما هو عليه من الحق

فما أبعد الفرق بين الفريقين! و ما أعظم التفاوت بين الطائفتين أهل الحق و أهل الغي! ﴿١٤﴾

ما أعد الله للمؤمن و الكافر 15-18

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ط

التي أعدها الله لعباده الذين اتقوا سخطه و اتبعوا رضوانه أى: نعتها وصفتها الجميلة.

{فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} أى: غير متغير لا بوخم و لا بريح منتنة و لا بمرارة و لا بكدورة

بل هو أعذب المياه و أصفها و أطيبها ريحا و ألذها شربا.

{وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} بحموضة و لا غيرها

{وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} أى: يلتذ به شاربها لذة عظيمة لا كخمر الدنيا الذى :-

1- يكره مذاقه 2- و يصدع الرأس 3- و يغول العقل {وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ط من شمعته و سائر أوساخه.

{وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} من نخيل و عنب و تفاح و رمان و أترج و تين و غير ذلك مما لا نظير له في الدنيا

فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم كقوله {يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ} [الدخان: 55]

{وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ط

يزول بها عنهم المرهوب فأى هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها و تضاعف عذابها

(كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ) ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدرجات {وَسُقُوا} فيها

{مَاءَ حَمِيمًا} أى: حارا جدا لا يستطيع

{فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}

ما في بطونهم من الامعاء و الاحشاء فسبحان من فاوت بين الدارين و الجزاين و العاملين و العاملين 15

يقول تعالى: و من المنافقين

{ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } ما تقول استماعا لا عن قبول و انقياد بل معرضة قلوبهم عنه

و لهذا قال: { حَقَّ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }

مستفهمين عما قلت وما سمعوا مما لم يكن لهم فيه رغبة

{ مَاذَا قَالَ إِنْفَاءً } أى: قريبا وهذا في غاية الذم لهم

فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسماعهم و وعته قلوبهم و انقادت له جوارحهم و لكنهم بعكس هذه الحال

و لهذا قال: { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } أى: ختم عليها و سدَّ أبواب الخير التي تصل إليها

{ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } بسبب اتباعهم أهواءهم التي لا يهتدون فيها إلا الباطل.

ثم بين حال المهتدين فقال: { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا } بالإيمان و الانقياد و اتباع ما يرضى الله

{ زَادَهُمْ هُدًى } شكرا منه تعالى لهم على ذلك

و الذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم إليها و ثبتهم عليها و زادهم منها

{ وَمَا أَنَّهُمْ يَقْوَاهُمْ } أى: وفقهم للخير و حفظهم من الشر-الهمهم رشدهم 17

○ فذكر للمهتدين جزاءين - العلم النافع و العمل الصالح.

(فَمَلَّ يَنْظُرُونَ) أى: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون

{ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً } أى: فجأة وهم لا يشعرون

{ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا } أى: علاماتها الدالة على قربها.

البخارى (4936) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

بِأُصْبَعِي هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَ الَّتِي تَلَى الْإِبْهَامَ «بُعِثْتُ وَ السَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»

{ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ } فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟

أى: من أين لهم إذا جاءتهم الساعة و انقطعت آجالهم أن يتذكروا و يستعتبوا؟

قد فات ذلك و ذهب وقت التذكر فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكر و جاءهم النذير.

كقوله { يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى } [الفجر: 23] { وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [سبأ: 52]

ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت فإن موت الإنسان قيام ساعته 18

{ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }

العلم لا بد فيه من إقرار القلب و معرفته بمعنى ما طلب منه علمه و تمامه أن يعمل بمقتضاه.
و هذا العلم الذي أمر الله به -و هو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد
و الطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمر:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته و أفعاله الدالة على كماله و عظمته و جلالته
فإنها توجب بذل الجهد في التأله له و التعبد للرب الكامل الذي له كل حمد و مجد و جلال و جمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة و الباطنة الدينية و الدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به و محبته
و التأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر و النعم العاجلة و من عقوبته لأعدائه
المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان و الأنداد التي عبدت مع الله و اتخذت آلهة
و أنها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة
و لا نشورا ولا ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير أو دفع شر فإن العلم بذلك يوجب
العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك و تواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا و عقولا و رأيا و صوابا و علما -

و هم الرسل والأنبياء و العلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية و النفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة

و تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته و بديع حكمته و غرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله و أبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد
في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت و قامت أدلة التوحيد
من كل جانب فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشبه
و الخيالات و لا يزداد -على تكرر الباطل و الشبه- إلا نموا و كمالا.

هذا وإن نظرت إلى الدليل العظيم و الأمر الكبير -و هو تدبر هذا القرآن العظيم و التأمل في آياته-

فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله و جملة ما لا يحصل في غيره.

{وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ} اطلب من الله المغفرة لذنبك بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة و الدعاء بالمغفرة

و الحسنات الماحية و ترك الذنوب و العفو عن الجرائم.

{و} استغفر أيضا {وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} فإنهم - بسبب إيمانهم - كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة.

و من جملة حقوقهم -

- 1- أن يدعو لهم و يستغفر لذنوبهم و إذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب و عقوباتها عنهم
- 2- فإن من لوازم ذلك النصح لهم 3- و أن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه
- 4- و يكره لهم من الشر ما يكره لنفسه 5- و يأمرهم بما فيه الخير لهم 6- و ينهاهم عما فيه ضررهم
- 7- و يعفو عن مساوئهم و معاصيهم 8- و يحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم
- 9- و يزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة و الشقاق الذي به تكثر ذنوبهم و معاصيهم.

*البخارى (6398) عَنْ ابْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ:
«رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَ جَهْلِي وَ إِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَ عَمْدِي وَ جَهْلِي وَ هَزْلِي وَ كُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَ مَا أَخَّرْتُ وَ مَا أَسْرَرْتُ وَ مَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

*مسلم (2346) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا أَوْ قَالَ ثَرِيدًا قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ وَ لَكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: 19] قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. عِنْدَ نَاقِضِ كَتِفِهِ (=أعلى الكتف) الْيُسْرَى جُمُعًا عَلَيْهِ خِيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ (=حييات تعلق الجسد)»

*البخارى (6307) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«وَ اللَّهُ إِيَّيَّيْ لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلِكُمْ} تصرفاتكم و حركاتكم و ذهابكم و مجيئكم

{وَمَثَلُكُمْ} الذي به تستقرون فهو يعلمكم في الحركات و السكنات فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء و أوفاه.

كقوله {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ} [الأنعام: 60]

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود: 6] ﴿١٩﴾

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ
 رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ
 طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ
 إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ
 ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ
 الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
 سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
 وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ
 ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ
 فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا شَرْعِيَّةَ الْجِهَادِ فَلَمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَمَرَ بِهِ نَكَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ
 النَّاسِ كَقَوْلِهِ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا
 فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ
 قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء: 77] .

{وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} استعجالا و مبادرة للأوامر الشاقة {لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ} أي: فيها الأمر بالقتال.

احوال المنافقين و عاقبتهم و ابتلاء المجاهدين 20-34

{فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ} أي: ملزم العمل بها

{وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ} الذي هو أشق شيء على النفوس لم يشبث ضعفاء الإيمان على امتثال هذه الأوامر

و لهذا قال: {رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنْ} سكرات

(الْمَوْتِ) من كراحتهم لذلك و شدته عليهم..-

و هذا كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ

إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً}

ثم ندبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم فقال:

{فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ} أجدر بهم ﴿٢٠﴾ (طَاعَةٌ) لرسول الله (وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) حسن له

{فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ} أي: جاءهم الأمر جد و أمر محتم

ففى هذه الحال **(فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ)** بالاستعانة به و بذل الجهد فى امثاله

{لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}

من حالهم الأولى و ذلك من وجوه:

1- أن العبد ناقص من كل وجه لا قدرة له إلا إن أعانه الله فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

2- أنه إذا تعلق نفسه بالمستقبل ضعف عن العمل بوظيفة وقته و بوظيفة المستقبل

أما الحال فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره و العمل تبع للهمة

و أما المستقبل فإنه لا يحىء حتى تفتت الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

3- أن العبد المؤمل للآمال المستقبلية مع كسله عن عمل الوقت الحاضر شبيه بالمتألى الذي يجزم بقدرته على

ما يستقبل من أموره فأحرى به أن يخذل و لا يقوم بما هم به و وطن نفسه عليه

فالذى ينبغى أن يجمع العبد همه و فكرته و نشاطه على وقته الحاضر و يؤدي وظيفته بحسب قدرته

ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط و همة عالية مجتمعة غير متفرقة مستعينا بربه فى ذلك

فهذا حري بالتوفيق و التسديد فى جميع أموره **21**

*ثم ذكر تعالى حال المتولى عن طاعة ربه و أنه لا يتولى إلى خير بل إلى شر فقال:-

{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}

تَعُدُّوْا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ تَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَ تَقَطِّعُونَ الْأَرْحَامَ

أي: فهم أُمَرَان :-

1- إما التزام لطاعة الله و امتثال لأوامره فثم الخير و الرشد و الفلاح

2- و إما إعراض عن ذلك و تول عن طاعة الله فما ثم إلا الفساد فى الأرض بالعمل بالمعاصى و قطيعة الأرحام

{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ}

و هَذَا نَهْيٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ عُمُومًا وَ عَنِ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا بَلْ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي الْأَرْضِ وَ صَلََّةِ الْأَرْحَامِ وَ هُوَ:-

الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَ الْأَفْعَالِ وَ بَذْلِ الْأَمْوَالِ.

*البُخَارِيُّ (4830) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَهْ! فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ:

أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكَ

قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}**

*20734 حم:- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَا مِنْ ذَنْبٍ أُخْرَى أَنْ يُعْجَلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُؤَخَّرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ بَغْيٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ
"قَالَ وَكَيْعٌ:" أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ "وَقَالَ يَزِيدُ:" يُعْجَلَ اللَّهُ "وَقَالَ:" مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ **22**

{**أُولَئِكَ الَّذِينَ**} أفسدوا في الأرض و قطعوا أرحامهم

{**لَنَنهَمُ اللَّهَ**} بأن أبعدهم عن رحمته و قربوا من سخط الله.

{**فَأَصْنَعُهُمْ**} أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم و لا يبصرونه فلهم آذان و لكن لا تسمع سماع إذعان و قبول
و إنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها

{**وَأَعْمَى أَبْصَرَهُمْ**} و لهم أعين ولكن لا يبصرون بها العبر و الآيات و لا يلتفتون بها إلى البراهين و البينات **23**

{**أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَات**} أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله و يتأملونه حق التأمل

فإنهم لو تدبروه لــــ:

1- دلهم على كل خير 2- و لحذرهم من كل شر 3- و لملأ قلوبهم من الإيمان و أفندتهم من الإيقان

4- و لأوصلهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية

5- و لبين لهم الطريق الموصلة إلى الله و إلى جنته و مكملاتها و مفسداتها و الطريق الموصلة إلى العذاب
و بأي شيء تحذر 6- و لعرفهم بربهم و أسمائه و صفاته و إحسانه

7- و لشوقهم إلى الثواب الجزيل و رهبهم من العقاب الوبيل.

{**أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا**} أي: قد أغلق على ما فيها من الشر و أقفلت فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع.

{**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ**}

يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى و الإيمان على أعقابهم إلى الضلال و الكفران
ذلك لا عن دليل دلهم و لا برهان

{**الشَّيْطَانُ**} زَيْن (سَوَّلَ لَهُمْ) خطاياهم

{**وَأَمَلَىٰ لَهُمْ**} و مدَّ لهم في الأمل {**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**} [النساء: 120] **25**

و {**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ**} قد تبين لهم الهدى فرهدوا فيه و رفضوه

{**قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ**} من المبارزين العداوة لله و لرسوله

{**سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ**} أي: الذي يوافق أهواءهم

فلذلك عاقبهم الله بالضلال و الإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي و العذاب السرمدى.

{**وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ**} فلذلك فضحهم و بينها لعباده المؤمنين لئلا يغتروا بها **26**

{فَكَيْفَ} ترى حالهم الشنيعة و رؤيتهم الفظيعة

{إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ} الموكلون بقبض أرواحهم

{يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} بالمقامع الشديدة؟!

كقوله {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: 50]

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: 93] 27

{ذَلِكَ} العذاب الذي استحقوه و نالوه {ب} سبب

{بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ} من كل كفر و فسوق و عصيان.

{وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ} فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه و لا يدينهم منه

{فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} أي: أبطلها و أذهبها

و هذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله و كره سخطه فإنه سيكفر عنه سيئاته و يضاعف أجره و ثوابه 28

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} من شبهة أو شهوة بحيث تخرج القلب عن حال صحته و اعتداله

{أَن لَّن يَخْرِجَ اللَّهُ} أن الله لا يخرج ما فى قلوبهم من {أَضْغَنْهُمْ} و عداوتهم للإسلام و أهله؟

هذا ظن لا يليق بحكمة الله فإنه لا بد أن يميز الصادق من الكاذب و ذلك بالابتلاء بالمحن :-

1- **التي من ثبت عليها و دام إيمانه فيها فهو المؤمن حقيقة -**

2- **و من ردته على عقبيه فلم يصبر عليها**

و حين أتاه الامتحان جزع و ضعف إيمانه و خرج ما فى قلبه من الضغن و تبين نفاقه

((هذا مقتضى الحكمة الإلهية)))

*أي: اعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟

بَلْ سَيُوضَّحُ أَمْرُهُمْ وَيُجْلِيهِ حَتَّى يَفْهَمَهُمْ ذَوُو الْبَصَائِرِ

و قد أنزل تعالى في ذلك سورة "براءة" فبين فيها فضائحهم و ما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم و لهذا إنما كانت تسمى الفاضحة.

و الأضغان :- جمع ضغن و هو ما فى النفوس من الحسد و الحقد للإسلام و أهله و القائمين بنصره 29

.....

.....

وَلَنْبَلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ دِينٌ تَزِينُوا وَتَنَقُّوا يَوْمَكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾

إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّرْ أَصْغَنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ

لِنُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ} أي: بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم.

{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} أي: لا بد أن يظهر ما في قلوبهم ويتبين بقلوبهم.

فإن الألسن مغارف القلوب يظهر منها ما في القلوب من الخير و الشر

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} فيجازيكم عليها 30

ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده و هو الجهاد في سبيل الله فقال:

{وَلَنْبَلُوَنَّكُمْ} أي: نختبر إيمانكم و صبركم

{حَتَّى نَعْلَمَ} حتى يظهر ما علمه سبحانه في الأزل لنميز (الْمُجَاهِدِينَ) أهل الجهاد

(مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) و أهل الصبر على قتال أعداء الله

○ فمن امثل أمر الله و جاهد في سبيل الله لنصر دينه و إعلاء كلمته :- فهو المؤمن حقا

و من تكاسل عن ذلك :- كان ذلك نقصا في إيمانه.

{وَنَبْلُوا} و نختبر (أَخْبَارَكُمْ) أقوالكم و أفعالكم فيظهر الصادق منكم من الكاذب 31

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها من الكفر بالله

و صد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلا إليه.

{وَشَاقُّوا} عاندوا و خالفوا (الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ) عن عمد و عناد لا عن جهل و غي و ضلال

فإنهم {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} فلا ينقص به ملكه {وَسَيَحِطُّ أَعْمَالَهُمْ} أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة و الخسران و أعمالهم التي يرجون بها الثواب لا تقبل لعدم وجود شرطها **32**

{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}

يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم و تحصل سعادتهم الدينية و الدنيوية و هـو:—

1- طاعته و طاعة رسوله في أصول الدين و فروعه

و الطاعة هـى:— امتثال الأمر و اجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص

2- و تمام المتابعة.

و قوله: {وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} يشمل النهى عن:-

1- إبطالها بعد عملها بما يفسدها من مَن بها و إعجاب و فخر و سمعة

و من عمل بالمعاصى التي تضحل معها الأعمال و يحبط أجرها

2- و يشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها أو الإتيان بمفسد من مفسداتها.

فمبطلات الصلاة و الصيام و الحج و نحوها كلها داخلة في هذا و منهي عنها

و يستدل الفقهاء بهذه الآية على:-

1- تحريم قطع الفرض 2- و كراهة قطع النفل من غير موجب لذلك

* و إذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال فهو:-

أمر بإصلاحها و إكمالها و إتمامها و الإتيان بها على الوجه الذي تصلح به علما و عملا.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

{وَصَدُّوا} الخلق {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} بتزهيدهم إياهم بالحق و دعوتهم إلى الباطل و تزيينه

{ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ} لم يتوبوا منه {فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} لا بشفاعه و لا بغيرها لأنه قد تحتم عليهم العقاب

و فاتهم الثواب و وجب عليهم الخلود في النار و سدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

و مفهوم الآية الكريمة:-

أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم فإن الله يغفر لهم و يرحمهم و يدخلهم الجنة و لو كانوا مفنين أعمارهم فى الكفر به و الصد عن سبيله و الإقدام على معاصيه

○ فسيحان من فتح لعباده أبواب الرحمة و لم يغلقها عن أحد ما دام حيا متمكنا من التوبة.

و سبحة الحليم الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة بل يعافيههم و يرزقهم كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم **34**

{فَلَا تَهِنُوا} تضعفوا عن قتال عدوكم و يستولى عليكم الخوف بل اصبروا و اثبتوا

و وطنوا أنفسكم على القتال و الجلاد طلبا لمرضاة ربكم و نصحا للإسلام و إغضابا للشيطان.

(وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ) و لا تدعوا إلى المسالمة و المتاركة بينكم و بين أعدائكم طلبا للراحة

حقيقة الدنيا و الامر بالانفاق و الجهاد 35-38

{و الحال أنكم

{وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ} يحبطها-يسلبها-بل يوفيكم ثوابها و لا ينقصكم منها شيئا

{أَعْمَلَكُمْ} فهذه الأمور الثلاثة كل منها مقتض للصبر و عدم الوهن كونهم

الاول:-الأعلى أى:-قد توفرت لهم أسباب النصر و وعدوا من الله بالوعد الصادق

فإن الإنسان لا يهين إلا إذا كان

أذل من غيره- و أضعف عددا- و عددا- و قوة داخلية- و خارجية.

الثانى:أن الله معهم فإنهم مؤمنون و الله مع المؤمنين بالعون و النصر و التأييد و ذلك موجب لقوة قلوبهم وإقدامهم على عدوهم.

الثالث:أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا بل سيوفهم أجورهم و يزيدهم من فضله

خصوصا عبادة الجهاد فإن النفقة تضاعف فيه إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة

*قال بن كثير **{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ}**

أَي: فِي حَالِ غُلُوبِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْكُفَّارُ فِيهِمْ قُوَّةً وَ كَثْرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَ رَأَى الْإِمَامُ فِي الْمُعَاهَدَةِ وَ الْمُهَادَنَةِ مَصْلَحَةً

فَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَدَّه كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَنْ مَكَّةَ وَ دَعَوْهُ إِلَى الصُّلْحِ وَ وَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُ عَشْرَ سِنِينَ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله و جهاده:-

أوجب له ذلك النشاط و بذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر و الثواب

كيفية إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة:-

فإن ذلك يوجب النشاط التام فهذا من ترغيب الله لعباده و تنشيطهم و تقوية أنفسهم على ما فيه فلاحهم **35**

(إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها بأنها — :-

(لَيْبٌ) في الأبدان **(وَلَهْوٌ)** في القلوب

فلا يزال العبد لاهيا فـى:-

ماله و أولاده و زينته و لذاته من النساء و المآكل و المشارب و المساكن و المجالس و المناظر و الرياضات
لأعبا في كل عمل لا فائدة فيه بل هو دائر بين البطالة و الغفلة و المعاصى حتى تستكمل دنياه و يحضره أجله
فإذا هذه الأمور قد ولت و فارقت و لم يحصل العبد منها على طائل

بل قد تبين له خسارانه و حرمانه و حضر عذابه فهذا موجب للعاقل الزهد فيها و عدم الرغبة فيها

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}

(وَتَنَقَّوْا) تقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان و مقتضياته و هـى:-

العمل بمرضاته على الدوام مع ترك معاصيه فهذا الذي ينفع العبد

و هو الذي ينبغي أن يتنافس فيه و تبذل الهمم و الأعمال في طلبه و هو مقصود الله من عباده رحمة بهم و

لطفاً ليشيهم الثواب الجزيل و لهذا قال: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}

لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم ويعنتكم من أخذ أموالكم و بقائكم بلا مال أو ينقصكم بما يضركم 36

و لهذا قال: {لَا يَسْأَلُكُمْ فِيهَا مَالٌ} {لَا يَسْأَلُكُمْ فِيهَا مَالٌ} {لَا يَسْأَلُكُمْ فِيهَا مَالٌ}

(تَبَخَّلُوا) أنكم تمتنعون منها

(وَيُخْرِجَ) ما فى قلوبكم من (أَضْغَنْكُمْ) إذا طلب منكم ما تكرهون بذله

{هَٰذَا نَدْعُوكَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} على هذا الوجه الذي فيه مصلحتكم الدينية و الدنيوية.

{فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ} فكيف لو سألكم و طلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟

أليس من باب أولى و أخرى امتناعكم من ذلك.

{وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ} {وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ}

لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى و فاته خير كثير و لن يضر الله بترك الإنفاق شيئاً.

{وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم لجميع أموركم.

{وَلَا تَتَوَلَّوْا} عن الإيمان بالله و امتثال ما يأمركم به

{يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} في التولي بل يطيعون الله و رسوله و يحبون الله و رسوله

كقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54] 38

48-سورة الفتح-مدنية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْغَاتِ لَهُمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

الصحيح المسند من اسباب النزول * البخارى -4844 عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

صلح الحديبية 7-1

أَتَيْتُ أَبَا وَائِلَ أَسْأَلُهُ فَقَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ:
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ:
اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ -
وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟
أَلَيْسَ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»
قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا فَقَالَ:
«يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»
فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟
قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) ظاهر جلى و ذلك لأن المقصود في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله 1

و هذا حصل بذلك الفتح و رتب الله على هذا الفتح عدة أمور فقال:-

{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}

و ذلك -و الله أعلم- بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة و الدخول في الدين بكثرة
و بما تحمل ﷺ من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين
و هذا من أعظم مناقبه و كراماته ﷺ أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر.

{وَيُتِمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} بإعزاز دينك و نصرك على أعدائك و اتساع كلمتك

{وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} تنال به السعادة الأبدية و الفلاح السرمدي.

*مسلم (794) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةٍ رضي الله عنه قَالَ: -سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْقِلٍ الْمُزَنِيَّ يَقُولُ:

«قَرَأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةُ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَرَجَعَ فِي قِرَاءَتِهِ»

قَالَ مُعَاوِيَةُ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمَعَ عَلَيَّ النَّاسُ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ 2

{وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا} قويا لا يتضعض فيه الإسلام بل يحصل الانتصار التام و قمع الكافرين و ذلهم

و نقصهم مع توفر قوى المسلمين و نموهم و نمو أموالهم

*مسلم (2588) عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:-

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»

ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين فقال:-

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ) السكون و الطمأنينة و الثبات عند نزول المحن المقلقة و الأمور الصعبة التي تشوش

القلوب و ترعج الأبواب و تضعف النفوس

(فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال فيزداد بذلك إيمانه

{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} جميعها في ملكه و تديره و قهره فلا يظن المشركون أن الله لا ينصر دينه و نبيه

(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

و لكنه تعالى عليم حكيم فتقتضي حكمته المداولة بين الناس في الأيام و تأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر.

*البخارى (4172) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: 1]

قَالَ: الْحَدِيثُ قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئًا مَرِيئًا فَمَا لَنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الفتح: 5]

قَالَ شُعْبَةُ: فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ

فَقَالَ أَمَا: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ} [الفتح: 1] فَعَنْ أَنَسٍ وَ أَمَا هَنِيئًا مَرِيئًا فَعَنْ عِكْرَمَةَ

(خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول

الجنات و يزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات.

{وَكَانَ ذَلِكَ} الجزاء المذكور للمؤمنين **{عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا}** فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين 5

(وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ)

و أما المنافقون و المنافقات و المشركون و المشركات فإن الله يعذبهم بذلك و يريهم ما يسوءهم

حيث كان مقصودهم ((خذلان المؤمنين))

(الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)

و ظنوا بالله الظن السوء أنه لا ينصر دينه و لا يعلى كلمته

و أن أهل الباطل ستكون لهم الدائرة على أهل الحق فأدار الله عليهم ظنهم وكانت دائرة السوء عليهم في الدنيا

{وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} بما اقترفوه من المحادة لله و لرسوله {وَلَعَنَهُمْ} أبعدهم و أقصاهم عن رحمته

{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا} 6

(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) كرر الإخبار بأن له ملك السماوات و الأرض و ما فيهما من الجنود ليعلم العباد

أنه تعالى هو المعز المذل و أنه سينصر جنوده المنسوبة إليه كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}

{وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا} أي: قويا غالبا قاهرا لكل شيء و مع عزته و قوته فهو —

{حَكِيمًا} في خلقه و تدبيره يجري على ما تقتضيه حكمته و إتقانه 7

وظيفة الرسول و بيعة الصحابة 10-8

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ} أيها الرسول الكريم {شَهِيدًا}

لأمتك بما فعلوه من خير و شر و شاهدا على المقالات و المسائل حقها و باطلها

و شاهدا لله تعالى بالوحدانية و الانفراد بالكمال من كل وجه

{وَمُبَشِّرًا} من أطاعك و أطاع الله بالثواب الدنيوى و الدينى و الآخرى

{وَنَذِيرًا} و منذرا من عصى الله بالعقاب العاجل و الآجل و من تمام البشارة و النذارة بيان الأعمال

و الأخلاق التي يبشر بها و ينذر فهو المبين للخير والشر و السعادة و الشقاوة و الحق من الباطل

و لهذا رتب على ذلك قوله: {لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}

بسبب دعوة الرسول لكم و تعليمه لكم ما ينفعكم أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله و رسوله المستلزم ذلك

لطاعتهما في جميع الأمور.

{وَتُعِزُّوهُ} تنصروا النبي ﷺ {وَتُوقِرُوهُ} تعظموه و تجلوه و تقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة برقابكم

{وَتُسَبِّحُوهُ} أي: تسبحوا لله {بُكْرَةً وَأَمِيلًا} أول النهار و آخره

ذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله و بين رسوله و هو: — الإيمان بهما

و المختص بالرسول و هو: — التعزير و التوقير

و المختص بالله و هو: — التسبيح له و التقديس بصلاة أو غيرها 9

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ
وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ جَزَاءٌ عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا لَنْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ
الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾
وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ
إِذَا أُنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ
قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ)

بيعة الرضوان التي بايع الصحابة فيها رسول الله ﷺ على أن لا يفروا عنه فهي عقد خاص من لوازمه
أن لا يفروا و لو لم يبق منهم إلا القليل و لو كانوا في حال يجوز الفرار فيها فأخبر تعالى:
أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم

{إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} و يعقدون العقد معه حتى إنه من شدة تأكده أنه قال:

{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}

أي: كأنهم بايعوا الله و صافحوه بتلك المبايعة و كل هذا لزيادة التأكيد و التقوية و حملهم على الوفاء بها
أي: هُوَ حَاضِرٌ مَعَهُمْ يَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ وَ يَرَى مَكَانَهُمْ وَ يَعْلَمُ ضَمَائِرَهُمْ وَ ظَوَاهِرَهُمْ فَهُوَ تَعَالَى هُوَ الْمُبَايِعُ
بواسطة رسوله كقوله:- {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 111]

*مسلم (2780) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمَرَارِ فَإِنَّهُ يُحِطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»
قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعَدَهَا خَيْلُنَا خَيْلُ بَنِي الْخَزَرَجِ ثُمَّ تَتَامَ النَّاسُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ»
فَاتَّبَعْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالِ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

وَاللَّهُ لَأَنَّ أَجَدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ
 *مسلم (2496) جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ:
 «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»
 قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: 71]

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا} [مريم: 72]

و لهذا قال: {فَمَنْ نَكَتْ} فلم يف بما عاهد الله عليه

{فَإِنَّمَا يَنْكَتُ عَلَى نَفْسِهِ} أى: لأن وبال ذلك راجع إليه و عقوبته واصله له

{وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ} أى: أتى به كاملا موفرا

{فَسَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} لا يعلم عظمه و قدره إلا الذي آتاه إياه 10

حقيقة المنافقين و عاقبتهم 16-11

(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا)

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله في الجهاد في سبيله من الأعراب الذين ضعف إيمانهم
 و كان في قلوبهم مرض و سوء ظن بالله تعالى و أنهم سيعتذرون بأن أموالهم و أهليهم شغلتهم عن الخروج في
 الجهاد و أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم

{فَاسْتَغْفِرْ لَنَا} فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله ﷺ يدل على:-

ندمهم و إقرارهم على أنفسهم بالذنوب و أنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة و استغفار
 فلو كان هذا الذي في قلوبهم لكان استغفار الرسول نافعا لهم لأنهم قد تابوا و أنابوا

{يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ}

يقولون ذلك بألسنتهم و لا حقيقة له في قلوبهم

(قُلْ) لهم {فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا} إِنْ أَرَادَ بِكُمْ شَرًّا أَوْ خَيْرًا
 ليس الأمر كما ظن هؤلاء المنافقون أن الله لا يعلم ما انطوت عليه بواطنهم من النفاق

{بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه 11

{بَلْ ظَنَنْتُمْ} لكن الذى في قلوبهم أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء

{أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا} أى:- إنهم سيقتلون و يستأصلون

{وَرُيِّنَتْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا السَّوْءَ}

و لم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم و يطمئنون إليه حتى استحکم

و سبب ذلك أمران:-

أحدها: {وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا} مَّا بُورًا أى: هلكى لا خير فيهم فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم **12**

الثانى: ضعف إيمانهم و يقينهم بوعد الله و نصر دينه و إعلاء كلمته

و لهذا قال: (**وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا**) أى: فإنه كافر مستحق للعقاب **13**

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أى: هو تعالى المنفرد بملك السماوات و الأرض يتصرف فيهما بما يشاء من:-

الأحكام القدريّة و الأحكام الشرعية و الأحكام الجزائية

○ و لهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعية فقال:-

{يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} لمن اعتصم بما أمره الله به

{وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} ممن تهاون بأمر الله

{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} أى: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة و الرحمة

فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين و يتجاوز عن الخطائين و يتقبل توبة التائبين و ينزل خيره المدرار

آناء الليل و النهار **14**

(**سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا**)

لما ذكر تعالى المخلفين و ذمهم ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية أن رسول الله ﷺ و أصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها طلبوا منهم الصحبة و المشاركة

و يقولون: **{يُرِيدُونَ}** بذلك

{أَنْ يَبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ} حيث حكم بعقوبتهم و اختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم:- **شـرعاً و قدراً**

{قُلْ} لهم

{لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ}

إنكم محرومون منها بما جنيتم على أنفسكم و بما تركتم القتال أول مرة.

{فَسَيَقُولُونَ} مجيبين لهذا الكلام الذي منعوا به عن الخروج:

{بَلْ تَحْسُدُونَنَا} على الغنائم.... هذا منتهى علمهم في هذا الموضع

و لو فهموا رشدهم لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم و أن المعاصي لها عقوبات دنيوية و دينية

و لهذا قال: **{بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}** **15**

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَمْرِ شَدِيدٍ تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ
 فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا لِّئَلَّا تَكُونُوا تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾
 لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
 إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾
 وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا
 فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾
 وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَلُوكَانِ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لَوَْلَا الْأَدْبَرُ لَمْ لَا يَجِدُوكَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ
 وَلَنْ يَجْعَلَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

○ لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله و يعتذرون بغير عذر
 و أنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة و لا قتال بل لمجرد الغنيمة قال تعالى ممتحننا لهم:

بيعة الرضوان و نتائج الصلح 17-26

{قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ}

سيدعوكم الرسول و من ناب منابه من الخلفاء الراشدين و الأئمة (إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَمْرِ شَدِيدٍ)

فارس و الروم و من نحا نحوهم و أشبههم-هوازن و ثقيف يوم حنين في السنة الثامنة من الهجرة

{تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} أي: إما هذا و إما هذا وهذا هو الأمر الواقع فإنهم في حال قتالهم و مقاتلتهم لأولئك

الأقوام إذ كانت شدتهم و بأسهم معهم فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية

بل إما أن يدخلوا في الإسلام و إما أن يقاتلوا على ما هم عليه فلما أثنى عليهم المسلمون و ضعفوا و ذلوا ذهب
 بأسهم

فصاروا :- 1- إما أن يسلموا 2- و إما أن يبذلوا الجزية

{فَإِنْ تُطِيعُوا} الداعي لكم إلى قتال هؤلاء

{يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا} و هو الأجر الذي رتبته الله و رسوله على الجهاد في سبيل الله

{وَلَا تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ} عن قتال من دعاكم الرسول إلى قتاله

{يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} و دلت هذه الآية على :-

1- فضيلة الخلفاء الراشدين الداعين لجهاد أهل البأس من الناس 2- وأنه تجب طاعتهم في ذلك 16

ثم ذكر الأعذار التي يعذر بها العبد عن الخروج إلى الجهاد فقال:-

{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ} أى: ففى التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع.

{وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} فى امتثال أمرهما و اجتناب نهيهما

{يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين

{وَمَنْ يَتَوَلَّ} عن طاعة الله و رسوله

{يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا} فالسعادة كلها فى طاعة الله و الشقاوة فى معصيته و مخالفته 17

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)

يخبر تعالى بفضله و رحمته برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم

و اكتسبوا بها سعادة الدنيا و الآخرة و كان سبب هذه البيعة -التي يقال لها "بيعة الرضوان":-

لرضا الله عن المؤمنين فيها و يقال لها "بيعة أهل الشجرة" أن رسول الله ﷺ لما دار الكلام بينه و بين المشركين

يوم الحديبية فى شأن مجيئه و أنه لم يجئ لقتال أحد و إنما جاء زائرا هذا البيت معظما له

فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان لمكة فى ذلك فجاء خبر غير صادق أن عثمان قتله المشركون

فجمع رسول الله ﷺ من معه من المؤمنين و كانوا نحو من ألف و خمسمائة فبايعوه تحت شجرة على قتال

المشركين و أن لا يفروا حتى يموتوا فأخبر تعالى أنه رضى عن المؤمنين فى تلك الحال التي هي من أكبر

الطاعات وأجل القربات

{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} من الإيمان **{فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ}** الطمأنينة **(عَلَيْهِمْ)**

شكرا لهم على ما فى قلوبهم زادهم هدى و علم ما فى قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها

المشركون على رسوله فأنزل عليهم السكينة تثبتهم وطمئن بها قلوبهم

{وَأَنْبَأَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا} و هو: فتح خيبر لم يحضره سوى أهل الحديبية فاختصوا بخيبر و غنائمها جزاء لهم

و شكرا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته 18

{وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}

فتح خيبر و مكة و سائر البلاد و الاقاليم و ما حصل لهم من العزة و النصر و الرفعة فى الدنيا و الآخرة

{وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} أى: له العزة والقدرة التي قهر بها الأشياء

فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم و بين المؤمنين

و لكنه حكيم يتلي بعضهم ببعض و يمتحن المؤمن بالكافر **19**

{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} و هذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة

{فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} أى: غنيمة خير- فلا تحسبوها وحدها بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها

{و} {احمدوا الله إذ {وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ}

الذين خلفتموهم القادرين على قتالكم وراء ظهوركم عن عيالكم و حريمكم فهى نعمة و تخفيف

{عَنكُم} وَلِتَكُون} هذه الغنيمة

{ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} يستدلون بها على خبر الله الصادق و وعده الحق و ثوابه للمؤمنين و أن الذي قدرها سيقدر

غيرها - و أن الخيرة فيما اختاره الله و إن كرهوه في الظاهر (وعسى ان تكرهوا شيئا و هو خير لكم) البقرة 216

{وَيَهْدِيَكُمْ} بما يقيض لكم من الأسباب - بسبب انقيادكم لاوامر الله و نبيه

{صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} من العلم و الإيمان و العمل **20**

{وَأُخْرَى} أى: وعدكم أيضا غنيمة أخرى

{لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا} وقت هذا الخطاب- أى و مغانم أخرى لم تقدرُوا عليها و هى غنائم فارس و الروم.

{قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا}

أى: هو قادر عليها و تحت تدبيره و ملكه و قد وعدكموها فلا بد من وقوع ما وعد به لكمال اقتدار الله تعالى

و لهذا قال: **{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا}** **21**

{وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

هذه بشارة من الله لعباده المؤمنين بنصرهم على أعدائهم الكافرين و أنهم لو قابلوهم و قاتلوهم

{لَوَلُوا أَلَا دَبَّرْتُمْ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا} يتولى أمرهم

{وَلَا نَصِيرًا} ينصرهم و يعينهم على قتالكم بل هم مخذولون مغلوبون **22**

(**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ**) و هذه سنة الله في الأمم السابقة أن جند الله هم الغالبون

{وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} كما حدث في بدر مع قلة المسلمين- و لن تجد -أيها النبي ﷺ- لسنة الله تغييراً **23**

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ^{٢٤}
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا
أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُمْ^{٢٦} وَلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ^{٢٧}
لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٨﴾
إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا^{٢٩}
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٠﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ^{٣١}
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ^{٣٢}
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٣٣﴾
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٤﴾

*المسند من اسباب النزول-صحيح البخاري

2731 عَنْ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَ مَرَّانٍ يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقْرِيشٍ طَلِيعَةٌ فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ»

فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ فَأَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقْرِيشٍ

وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ

فَقَالَ النَّاسُ: حَلَّ حَلٌّ فَأَلَحَّتْ فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقُصُوءُ خَلَّاتِ الْقُصُوءُ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقُصُوءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَ لَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»

ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَفْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ

يَلْبَثُهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ

فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيئُ لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ فَبَيْنَمَا

هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ

وَ كَانُوا عَيْبَةً نَصَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ

مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَ لَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَ إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتُهُمُ الْحَرْبُ أَضَرَّتْ بِهِمْ

فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُهُمْ مَدَّةً وَيُخْلَوُا بَيْنِي وَ بَيْنَ النَّاسِ

فَإِنْ أَظْهَرَ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَ إِلَّا فَقَدْ جَمُّوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَىٰ آمْرِي هَذَا حَتَّىٰ تَنْفِرَ سَالِفَتِي وَ لَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ " فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَابَلُغُهُمْ مَا تَقُولُ قَالَ:فَانْطَلِقْ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشًا قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سُفَهَاوُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ وَ قَالَ ذُوو الرَّاْي مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟

قَالُوا: بَلَىٰ قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَاقَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّ اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عَكَاظٍ فَلَمَّا بَلَحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَىٰ قَالَ:فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ

قَالُوا: ائْتِهِ فَآتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحُوا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتُ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاَحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَ إِنْ تَكُنِ الْآخَرَىٰ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَىٰ وَجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَىٰ أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: اْمْصُصْ بِبَطْرِ اللَّاتِ أَنْحُنْ نَفِرْ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجَبْتِكَ قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِدَحِيَّتِهِ

وَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَ مَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ

فَكَلَّمَا أَهْوَىٰ عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَىٰ لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ

وَ قَالَ لَهُ: أَخْرَ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ

فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ: أَيُّ غُدْرٍ أَلَسْتُ أَسْعَىٰ فِي غَدْرَتِكَ؟

وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ

ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلْ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَتَخَمَّرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ

وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ

وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَ وَقَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكَسْرَىٰ وَالنَّجَاشِيِّ

وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مَلَكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا

وَاللَّهِ إِنْ تَتَخَمَّرُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ

وَ إِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ

وَ إِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ

وَ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ فَاقْبَلُوهَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا: ائْتِهِ

فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«هَذَا فَلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظِمُونَ الْبُذْنَ فَابْعَثُوهُا لَهُ»

فَبِعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ

مَا يَنْبَغِي لَهُؤَلَاءَ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ:
رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدْتُ وَأَشْعَرْتُ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ
فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ: عُوْنِي آتِيهِ فَقَالُوا: ائْتِهِ
فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مِكْرَزُ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو
قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ:
فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ
فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»
ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»
فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ
وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي
اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ:
«لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
«عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتَطُوفَ بِهِ»

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضُغْطَةً وَ لَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ
فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا
قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُبُودِهِ
وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ
فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ» قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحَكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي» قَالَ: مَا أَنَا مُجِيزُهُ لَكَ قَالَ: «بَلَى فَاَفْعَلْ»

قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ مِ كْرَزُ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ
قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُدَّ بِ
عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ
فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ

قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟
قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي»
قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: «بَلَىٰ فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَاتِيهِ الْعَامَ» قَالَ: قُلْتُ: لَا
قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ» قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا؟
قَالَ: بَلَىٰ قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟

قَالَ: بَلَىٰ قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَ لَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِعَزْرِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ
قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتِ وَنُطَوِّفُ بِهِ؟

قَالَ: بَلَىٰ أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ -
قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ -: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا قَالَ: فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ قِصِيَّةِ الْكِتَابِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً

حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَ دَعَا

حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا

وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة: 10]

حَتَّى بَلَغَ (بَعْضُ الْكَوَافِرِ) فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ

كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ

فَارْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ

فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ مَرِّ لَهُمْ

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانُ جَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ

فَقَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَأَمَكْنَهُ مِنْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا»

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ

فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْلٌ أُمِّهِ مِسْعَرٌ حَرْبٌ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ»

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُّدُهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ

فَقَالَ: وَيَنْفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سَهِيلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ

بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ

فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَاقْتَلَوْهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ

فَارْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَتَأَشَّدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ

فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَارْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: 24]

حَتَّىٰ بَلَغَ {الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} [الفتح: 26]

وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَ لَمْ يَقْرُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:

مَعَرَّةُ الْعُرِّ: الْجَرْبُ تَزِيلُهَا: تَمَيَّزُوا وَحَمِيَّتُ الْقَوْمِ: مَنَعَتْهُمْ حِمَايَةً وَأَحْمِيَّتُ الْحِمَى: جَعَلَتْهُ حِمَى لَا يُدْخَلُ وَأَحْمِيَّتُ الْحَدِيدِ وَأَحْمِيَّتُ الرَّجُلِ: إِذَا أَغْضَبَتْهُ إِحْمَاءٌ *يقول تعالى ممتنا على عباده بالعافية من شر الكفار و من قتالهم فقال:-

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ} أى: أهل مكة {عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}

أى: ما قدرتم عليهم و صاروا تحت ولايتكم بلا عقد و لا عهد

و هم نحو ثمانين رجلا انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة

فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكوكهم فتركوكهم و لم يقتلوهم رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم

{وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} فيجازى كل عامل بعمله و يدبركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن.

*مسلم 1808 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: 24] 24

(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)

*ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين و هى كفرهم بالله ورسوله و صدهم رسول الله و من معه من المؤمنين أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج و العمرة و هم الذين أيضا صدوا

{وَالَّذِينَ مَكَوُفًا} أى: محبوسا

{أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ} و هو محل ذبحه وهو مكة فمنعوه من الوصول إليه ظلما و عدوانا

و كل هذه أمور موجبة و داعية إلى قتالهم و لكن ثم مانع

(وَلَوْلَا) وجود (رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ)

من أهل الإيمان بين أظهر المشركين و ليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى

(لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) الذين لا يعلمهم المسلمون

(أَنْ تَطَّوَّهُمْ) أى: خشية أن تطأوهم -أى: بجيشكم

{فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ} و المعرة:-

ما يدخل تحت قتالهم من نيلهم بالأذى و المكروه و فائدة أخروية *إثم و عيب و غرامة (يَغِيرُ عَلَيْهِ)

﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر و بالهدى بعد الضلال
 فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب.

{لَوْ تَزَيَّلُوا} لو زالوا من بين أظهرهم

{الْعَذْبَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} بَأَن نَّبِيح لَكُمْ قِتَالَهُمْ وَ نَأْذَن فِيهِ وَ نَصْرَكُمْ عَلَيْهِمْ 25

{ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ أَنْفَةٍ

(الْعَهْدِيَّةُ) حيث أنفوا من كتابة {بسم الله الرحمن الرحيم} وأنفوا من دخول رسول الله ﷺ والمؤمنين إليهم في تلك السنة لئلا يقول الناس: "دخلوا مكة قاهرين لقريش" وهذه الأمور و نحوه من أمور الجاهلية لم تزل في قلوبهم حتى أوجب لهم ما أوجب من كثير من المعاصي

{ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ } فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به بل صبروا لحكم الله و التزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمان الله و لو كانت ما كانت و لم يبالوا بقول القائلين و لا لوم اللائمين.

{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ} وهى "لا إله إلا الله" و حقوقها ألزمهم القيام بها فالتموها وقاموا بها

{وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا} من غيرهم {و} كانوا

{وَأَهْلَهَا} الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم و في قلوبهم من الخير-أهلا للتقوى

و لهذا قال: {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} 26

تحقيق رؤيا الرسول و بعض اوصافه و اصحابه 27-29

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ}

لا بد من وقوعها و صدقها و لا يقدر في ذلك تأخر تأويلها
و ذلك أن رسول الله ﷺ رأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه أنهم سيدخلون مكة و يطوفون بالبيت
فلما جرى يوم الحديبية ما جرى و رجعوا من غير دخول لمكة كثر في ذلك الكلام منهم
حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ: ألم نخبرنا أنا سنأتي البيت و نطوف به؟
فقال: "أخبرتكم أنه العام؟" قالوا: لا قال: "فإنكم ستأتونه و تطوفون به"

{لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ}

فى هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام و أدائكم للنسك و تكميله بالحلق و التقصير و عدم
الخوف

{فَعَلِمَ} من المصلحة و المنافع {مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ} الدخول بتلك الصفة

{فَتَحَّمَا قَرِيبًا} 27

و لما كانت هذه الواقعة مما تشوشت بها قلوب بعض المؤمنين و خفيت عليهم حكمتها:-
 فبين تعالى حكمتها و منفعتها و هكذا سائر أحكامه الشرعية فإنها كلها هدى و رحمة أخبر بحكم عام فقال:
{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى} الذي هو العلم النافع الذي يهدي من الضلالة و يبين طرق الخير و الشر.

{وَدِينِ الْحَقِّ} أى: الدين الموصوف بالحق و هو العدل و الإحسان و الرحمة.

و هو كل عمل صالح مزك للقلوب مطهر للنفوس مرب للأخلاق معل للأقدار.

{لِيُظْهِرَهُ} {بما بعثه الله به-ليُعلِّيه

{عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} بالحجة و البرهان و يكون داعيا لإخضاعهم بالسيف و السنان.

{وَكُنْىَ بِاللَّهِ شَهِيدًا} 28

تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُجْتَمِعًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا لِسَيِّمَاتِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعِجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

49-سورة الحجرات-مدنية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عُوا نَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

{تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ}

يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين و الأنصار أنهم بأكمل الصفات و أجل الأحوال
و أنهم {أَشِدَّاءُ} جادون و مجتهدون في عداوتهم {عَلَى الْكُفَّارِ} و ساعون في ذلك بغاية جهدهم
فلم يروا منهم إلا الغلظة و الشدة فلذلك ذل أعداؤهم لهم و انكسروا و قهرهم المسلمون
{رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} متحابون متراحمون متعاطفون كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه هذه معاملتهم
مع الخلق

و أما معاملتهم مع الخالق فإنك {تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُجْتَمِعًا} وصفهم كثرة الصلاة التي أجل أركانها الركوع و السجود.

{يَبْتَغُونَ} بتلك العبادة {فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم و الوصول إلى ثوابه.

{سَيِّمَاتِهِمْ} علامة طاعتهم لله ظاهرة {فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} و العبادة

قد أثرت العبادة-من كثرتها و حسناتها-فى وجوههم حتى استنارت لما استنارت بالصلاة بواطنهم
استنارت بالجلال ظواهرهم.

{ذَلِكَ} المذكور

{مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ} أى: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به مذكور بالتوراة هكذا.

و أما **{وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ}** فإنهم موصوفون بوصف آخر و أنهم في كمالهم و تعاونهم

{كَزَّرَجٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} فراخه-سوقه و فروعه

{فَازَرَهُ} {فوازرتة-اعانه-فراخه في الشباب و الاستواء.

{فَاسْتَغْلَظَ} {ذلك الزرع أى: قوى و غلظ **{فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ}** جمع ساق

{يُتَجَبَّ الزَّرْعُ} زارعيه-من كماله و استوائه و حسنه و اعتداله

كذلك الصحابة رضي الله عنهم هم كالزرع في نفعهم للخلق و احتياج الناس إليهم ففوة إيمانهم و أعمالهم بمنزلة
[قوة عروق الزرع و سوقه]

و كون الصغير و المتأخر إسلامه قد لحق الكبير السابق و وازره و عاونه على ما هو عليه من إقامة دين الله
و الدعوة إليه كالزرع الذي أخرج شطأه فازره فاستغلظ و لهذا قال:

{لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}

حين يرون اجتماعهم و شدتهم على دينهم و حين يتصادمون هم و هم في معارك النزال و معامع القتال
و في هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة رضي الله عنهم لأن من غاظه الله بالصحابة فقد وُجد في حقه موجب ذاك
و هو الكفر.

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}

فالصحابة رضي الله عنهم الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح قد جمع الله لهم بين المغفرة **التي من لوازمها:-**

1-وقاية شرور الدنيا و الآخرة

2-و الأجر العظيم في الدنيا و الآخرة

*البخارى (3673) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَ لَا نَصِيفَهُ» 29

49-تفسير سورة الحجرات-و هي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

أدب التعامل مع الرسول 5-1

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}

لا تقضوا أمراً دون أمر الله و رسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا
هذا متضمن للأدب مع الله تعالى و مع رسول الله ﷺ و التعظيم له و احترامه و إكرامه
فأمر الله عباداه المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالله و برسوله من امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه
و أن يكونوا ماشين خلف أوامر الله متبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم
و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله و لا يقولوا حتى يقول و لا يأمرؤا حتى يأمر
فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله و هو عنوان سعادة العبد و فلاحه و بفواته تفوته السعادة الأبدية
و النعيم السرمدى

و فى هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ على قوله فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ
وجب اتباعها و تقديمها على غيرها كائن ما كان

{وَأَتَّقُوا اللَّهَ} و خافوا الله في قولكم و فعلكم أن يخالف أمر الله و رسوله

ثم أمر الله بتقواه عموماً و هي كما قال طلق بن حبيب:

- 1- أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله
- 2- و أن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله.

و قوله: **{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ}** أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات فى خفى المواضع و الجهات

{عَلِيمٌ} بالظواهر و البواطن و السوابق و اللواحق و الواجبات و المستحيلات و الممكنات

○ و فى ذكر الاسمين الكريمين -بعد النهي عن التقدم بين يدي الله و رسوله و الأمر بتقواه-

حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة و الآداب المستحسنة و ترهيب عن عدم الامتثال 1

ثم قال تعالى:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ}

و هذا أدب مع رسول الله ﷺ في خطابه أى:- لا يرفع المخاطب له صوته معه **(فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)**

(وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ)

و لا يجهر له بالقول بل يغض الصوت و يخاطبه بأدب و لين و تعظيم و تكريم و إجلال و إعظام

{يَا قَوْمِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ}

و لا يكون الرسول كأحدهم بل يميزوه في خطابهم كما تميز عن غيره في وجوب حقه على الأمة و وجوب الإيمان به و الحب الذي لا يتم الإيمان إلا به فإن في عدم القيام بذلك محذورًا

{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ} خشية أن تبطل أعمالكم و خشية أن يحبط عمل العبد

{وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} و هو لا يشعر-لا تحسبون بذلك

لأنما أن الأدب معه من أسباب حصول الثواب و قبول الأعمال 2

{إِنَّ الَّذِينَ يَخُضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ} ثم مدح من غص صوته عند رسول الله ﷺ

{أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا} ابتلى و اختبر (الله) فظهرت نتيجة ذلك بأن صلحت (قلوبهم للتقوى)

{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمنة لزوال الشر و المكروه

{وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} و الأجر العظيم الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى و في الأجر العظيم وجود المحبوب

و في هذا دليل على أن الله يمتحن القلوب بالأمر و النهي و المحن

فمن لازم أمر الله و اتبع رضاه و سارع إلى ذلك و قدمه على هواه :-

تمحض و تمحض للتقوى و صار قلبه صالحًا لها و من لم يكن كذلك علم أنه لا يصلح للتقوى

*البخاري 7302 عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ

لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ بَنِي قَيْمٍ أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرِعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيَّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ وَأَشَارَ الْآخَرُ بغيره فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي

فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: 2] إِلَى قَوْلِهِ {عَظِيمٌ} [الحجرات: 3]

*البخاري 4846 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًا رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟

فَقَالَ: شَرٌّ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذًا وَ كَذًا

فَقَالَ مُوسَى: فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبَشَارَةِ عَظِيمَةٍ فَقَالَ: " اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ:

إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَ لَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "

*البخاري-470 عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ

فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأَتِنِي بِهِذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا

قَالَ: مَنْ أَنْتُمْ - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ - قَالَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ

قَالَ: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»

*البخارى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» 3

{ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ } بصوت مرتفع (من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)

ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله ﷺ و توقيره.
-نزلت هذه الآيات الكريمة في أناس من الأعراب الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء
و أنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله قدموا وافدين على رسول الله ﷺ
فوجدوه في بيته وحجرات نسائه فلم يصبروا و يتأدبوا حتى يخرج بل نادوه: يا محمد يا محمد
أى: اخرج إلينا فذمهم الله بعدم العقل حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله و احترامه
كما أن من العقل و علامته استعمال الأدب 4

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْلِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
 وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
 وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
 فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
 فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ
 فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
 وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
 بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

فأدب العبد عنوان عقله و أن الله يريد به الخير و لهذا قال:-

{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ} من حجرتك

(لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ) لما صدر عن عباده من الذنوب و الإخلال بالآداب

(رَحِيمٌ) بهم حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات و المثالات.

و هذا أيضاً من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها و استعمالها 5

(يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره و لا يأخذوه مجرداً

فإن في ذلك خطراً كبيراً و وقوعاً في الإثم

التثبت من الاخبار و حسن المعاملة 6-13

فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل حُكِمَ بموجب ذلك و مقتضاه فـ:—

حصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة

{فَتَبَيَّنُوا} بل الواجب عند خبر الفاسق التثبت و التبيين

فإن دلت الدلائل و القرائن على صدقه ➡ عَمِلَ به و صدَّق

و إن دلت على كذبه ➡ كَذَّبَ و لم يعمل به

ففيه دليل على:-

و لهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج المعروفين بالصدق ولو كانوا فساداً.

(حکیم) فیض فضلہ حیث تقضیہ حکمتہ 8

{وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} هذا متضمن لنهي المؤمنين عن أن يبغى بعضهم على بعض

و يقتاتل بعضهم بعضاً و أنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين:

{فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم

و التوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح و يسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك فإن صلحتا فيها و نعمت

{فَإِنْ بَغَتْ} اعتدت

{إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى} إحدى الطائفتين و أبت الإجابة إلى ذلك

{فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَفِيءَ} ترجع

{إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} ما حد الله و رسوله من فعل الخير و ترك الشر الذي من أعظمه الاقتتال

*البخارى 2444- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" = تمنعه من الظلم

*البخارى 2691- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي

«فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَوَرَكِبَ حِمَارًا فَأَنْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَ هِيَ أَرْضُ سَبْخَةٍ»

فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي وَ اللَّهُ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ:

وَ اللَّهُ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَشَتَمَهُ

فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ (=أغصان النخل المجردة من ورقه) وَ الْأَيْدِي وَ النَّعَالِ

فَبَلَّغْنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: **{وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}** [الحجرات: 9]

{فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ} هذا أمر بالصلح و بالعدل في الصلح فإن الصلح قد يوجد

و لكن لا يكون بالعدل بل بالظلم و الحيف على أحد الخصمين فهذا ليس هو الصلح المأمور به

فيجب أن لا يراعى أحدهما لقراءة أو وطن أو غير ذلك من المقاصد والأغراض التي توجب العدول عن العدل

{وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} العادلين في حكمهم بين الناس و في جميع الولايات التي تولوها

حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله و عياله في أدائه حقوقهم

*مسند أحمد 6492 قال النبي ﷺ الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ

عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا " (=أي كانت لهم عليه ولاية)

*و بهذا استدل البخاري وغيره علي انه لا يخرج من الايمان بالمعصية و ان عظمت لا كما يقوله الخوارج

و من تابعهم من المعتزلة و نحوهم

*البخارى 3746 عَنْ الْحَسَنِ سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَ الْحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ

مَرَّةً وَ إِلَيْهِ مَرَّةً وَ يَقُولُ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

○ فكان كان قال اصلح الله به بين اهل الشام و العراق بعد الحروب الطويلة 9

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } هذا عقد عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض و مغربها الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم و يكرهون له ما يكرهون لأنفسهم و لهذا قال النبي ﷺ أمراً بحقوق الأخوة الإيمانية:-

*البخارى 6064 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَ لَا تَحَسَّسُوا وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا تَحَاسَدُوا وَ لَا تَدَابَرُوا وَ لَا تَبَاغَضُوا وَ كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا

*البخارى 481 - عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَ شَبَّكَ أَصَابِعَهُ ○ و لقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض و بما به يحصل التآلف والتوادد والتواصل بينهم كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض فمن ذلك إذا وقع الاقتتال بينهم الموجب لتفريق القلوب وتباغضها و تدابرها

{ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } فليصلح المؤمنون بين إخوانهم و ليسعوا فيما به يزول شنائهم.

ثم أمر بالتقوى عمومًا فقال **{ وَاتَّقُوا اللَّهَ }** و رتب على القيام بحقوق المؤمنين و بتقوى الله الرحمة فقال: **{ لَمَّا كَرُمَ رَحْمُونَ }** و إذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا و الآخرة و دل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة 10

و في هاتين الآيتين من الفوائد غير ما تقدم:

- 1- أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية و لهذا كان من أكبر الكبائر
- 2- و أن الإيمان و الأخوة الإيمانية لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار التي دون الشرك و على ذلك مذهب أهل السنة و الجماعة
- 3- و على وجوب الإصلاح بين المؤمنين بالعدل
- 4- و على وجوب قتال البغاة حتى يرجعوا إلى أمر الله و على أنهم لو رجعوا لغير أمر الله بأن يرجعوا على وجه لا يجوز الإقرار عليه و التزامه أنه لا يجوز ذلك و أن أموالهم معصومة لأن الله أباح دمائهم وقت استمرارهم على بغيتهم خاصة دون أموالهم.

{ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } و هذا أيضًا من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض أن

{ لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ } بكل كلام و قول و فعل دال على تحقير الأخ المسلم فإن ذلك حرام لا يجوز و هو دال على إعجاب الساخر بنفسه

(عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا فَسَاءٌ مِّنْ فِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ)

أن يكون المسخور به خيراً من الساخر كما هو الغالب والواقع
فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق متحل بكل خلق ذميم
ولهذا قال النبي ﷺ "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"
*مسلم 91- إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ (=دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا) وَ غَمَطُ النَّاسِ (احتقارهم) «

{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} لا يعب بعضكم على بعض و اللمز: بالقول و الهمز: بالفعل
و كلاهما منهي عنه حرام متوعد عليه بالنار.

كما قال تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} الآية و سمى الأخ المؤمن نفساً لأخيه
لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد
و لأنه إذا همز غيره أوجب للغير أن يهمزه فيكون هو المتسبب لذلك.

{وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ} أى: لا يعير أحداكم أخاه و يلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه
و هذا هو التنابز -و أما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل في هذا.

{بِئْسَ} أى: بئسما تبدلتم عن الإيمان و العمل بشرائعه و ما تقتضيه بالإعراض عن أوامره و نواهيه
بئس الصفة و (الِاسْمُ الْفُسُوقُ) و هو السخرية و اللمز و العصيان الذى هو التنابز بالألقاب
(بَعْدَ الْإِيمَانِ) بعدما دخلتم في الإسلام و عقلتموه

{وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}

فهذا هو الواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى و يخرج من حق أخيه المسلم باستحلاله و الاستغفار
و المدح له مقابلة على ذمه

فالناس قسمان: 1- ظالم لنفسه غير تائب 2- و تائب مفلح و لا ثم قسم ثالث غيرهما 11

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا
 أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
 يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
 وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾
 قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾
 يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

{يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ} نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين

فـ {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} وذلك كالظن الخالى من الحقيقة و القرينة

و كظن السوء الذي يقترب به كثير من الأقوال و الأفعال المحرمة فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك بل لا يزال به حتى يقول ما لا ينبغي و يفعل ما لا ينبغي و في ذلك أيضا إساءة الظن بالمسلم و بغضه و عداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

{وَلَا تَجَسَّسُوا} أى: لا تفتشوا عن عورات المسلمين ولا تتبعوها و اتركوا المسلم على حاله

و استعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت ظهر منها ما لا ينبغي.

*البخارى (6066) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَ لَا تَجَسَّسُوا (=الاستماع الي حديث القوم و هم كارهون او يتسمع على ابوابهم)

وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا تَتَنَاجَشُوا (=أن يزيد في ثمن السلعة و هو لا يريد شراءها ليوهم غيره بنفاستها)

وَ لَا تَحَاسَدُوا وَ لَا تَبَاغَضُوا وَ لَا تَدَابَرُوا وَ كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»

سنن أبي داود 4880 - عَنْ أَبِي بَرزَةَ الأسلمي ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَخْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَ لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَ مَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»

{وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا} و الغيبة كما قال النبي ﷺ: " ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه "

*مسلم (2589) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَتْهُ» (=قلت فيه البهتان وهو الباطل)

ذكر العلماء أن الغيبة تباح في ستة مواضع نظمها الجوهري في قوله :

لست غيبة جَوِّزَ و خذها ...منظمة كأمثال الجواهر

تظلم و استعن و استفت حذر...و عرّف اذكرن فسق المجاهر

الغيبة محرمة شرعا ولكن هناك ستة مواضع أو ستة أسباب تباح فيها الغيبة لغرض صحيح شرعي وهى:-

1 - التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم للقاضى فيقول : ظلمني فلان بكذا و كذا

2 - الاستعانة على تغيير المنكر و رد العاصى الى الصواب

كأن يقول:فلان يعمل يعمل كذا فازجروه عنه أو نحو ذلك فان لم يكن مقصده إزالة المنكر كان حراما

3 - الاستفتاء فيقول للمفتى :- ظلمنى أبى أو أخى أو فلان فهل له ذلك ؟

و ما طريقي في تحصيل حقي منه ؟ فهذا جائز للحاجة و لكن الافضل أن يقول:-ما تقول في رجل أمره كذا ؟

فانه يحصل به الغرض من غير تعيين و مع ذلك فالتعيين جائز

4- تحذير المسلمين من الشر و نصيحتهم و ذلك من وجوه منها:

أ - جرح المجروحين من الرواة و الشهود

ب-المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته فيجب ذكر المساوى التي فيه بنية النصيحة

*مثال للنصيحة كقوله لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر:-

*البخارى 6131 - أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ:

«اتَّذِنُوا لَهُ فَبَسَّ ابْنُ الْعَشِيرَةِ - أَوْ بَسَّ أَخُو الْعَشِيرَةِ -» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ

فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتُ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ؟

فَقَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتَّقَاءَ فُحْشِهِ»

5 - أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر

فيجوز ذكره بما يجاهر به و يحرم ذكره بغيره من العيوب الا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكر

6- التعريف: فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالأعمش أو الأعرج و غيرهم جاز تعريفهم بذلك

و يحرم إطلاقه بنية التنقص أو الاستهزاء و لو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى

*أبي داود4875 - عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَ كَذَا

قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»

قَالَتْ: وَ حَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ إِلَيَّ حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»

ثم ذكر مثلا منفردا عن الغيبة فقال: { **أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** }

شَبَّهَ أَكَلَ لَحْمِهِ مِيتًا الْمَكْرُوهَ لِلنَّفُوسِ غَايَةَ الْكَرَاهَةِ بِاِغْتِيَابِهِ فَكَمَا أَنْكُمْ تَكْرَهُونَ أَكَلَ لَحْمِهِ وَ خُصُوصًا إِذَا كَانَ مِيتًا فَاقْدِ الرُّوحَ فَكَذَلِكَ فَلتَكْرَهُوا غِيَبَتَهُ وَ أَكَلَ لَحْمِهِ حَيًّا.

{وَأَنْقَرُوا اللَّهَ} خافوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه

{إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ} و **التواب**:- الذى يأذن بتوبة عبده فيوفقه لها ثم يتوب عليه بقبول توبته

(رَجِمَ) بعباده حيث دعاهم إلى ما ينفعهم و قبل منهم التوبة

و **في هذه الآية دليل على:-**

1- التحذير الشديد من الغيبة 2- و أن الغيبة من الكبائر لأن الله شبهها بأكل لحم الميت و ذلك من الكبائر 12

{يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} يخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد و جنس واحد

و كلهم من ذكر و أنثى و يرجعون جميعهم إلى آدم و حواء

و لكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا و نساء و فرّقهم

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَشْعَابًا لِّعَارْفُتٍ} و جعلهم **(شُعُوبًا وَقَبَائِلَ)** أى: قبائل صغارا و كبارا **(لِّتَعَارَفُوا)** و ذلك لأجل أن يتعارفوا

فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل **بذلك التعارف الذي يترتب عليه :-**

1- التناصر 2- و التعاون 3- و التوارث 4- و القيام بحقوق الأقارب

و لكن الله جعلهم شعوبا و قبائل لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها مما يتوقف على التعارف و لحوق الأنساب

{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ} و لكن الكرم بالتقوى فأكرمهم عند الله أتقاهم

و هو أكثرهم طاعة و انكفافا عن المعاصى لا أكثرهم قرابة و قوماً و لا أشرفهم نسبا

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} و لكن الله تعالى عليم خبير يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ظاهرا و باطنا

ممن يقوم بذلك ظاهرا لا باطنا فيجازي كلا بما يستحق.

و **في هذه الآية دليل على:-** أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة لأن الله جعلهم شعوبا و قبائل لأجل ذلك.

*البخارى 3353 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «فَيُؤَسِّفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟»

خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا»

*مسلم 2564 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ» **13**

(قَالَتِ الْأَعْرَابُ) يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ دخولا من غير بصيرة و لا قيام بما يجب و يقتضيه الإيمان أنهم ادعوا مع هذا و قالوا:

(إِيمَانًا كَامِلًا) مستوفيا لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام فأمر الله رسوله أن يرد عليهم فقال:-

{قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا} لا تدعوا لأنفسكم مقام الإيمان ظاهرا و باطنا كاملا.

{وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} دخلنا في الإسلام و اقتصرنا على ذلك {و} السبب في ذلك

{وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} و إنما آمنتكم خوفاً أو رجاء أو نحو ذلك مما هو السبب في إيمانكم

فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم و في قوله: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}

أي: وقت هذا الكلام الذي صدر منكم فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك

فإن كثيرا منهم من الله عليهم بالإيمان الحقيقي و الجهاد في سبيل الله

{وَلَنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} بفعل خير أو ترك شر

{لَا يَلْتَكُمُ} لا ينقصكم

(مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا) مثقال ذرة بل يوفيكُم إياها أكمل ما تكون لا تفقدون منها صغيرا و لا كبيرا

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} غفور لمن تاب إليه و أناب (رَجِيمٌ) به حيث قبل توبته 14

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} أي: على الحقيقة {الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} في إيمانهم

{وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: من جمعوا بين الإيمان و الجهاد في سبيله

- فإن من جاهد الكفار دل ذلك على الإيمان التام في القلب لأن من جاهد غيره على الإسلام و القيام بشرائعه

فجهاده لنفسه على ذلك من باب أولى و أخرى و لأن من لم يقو على الجهاد فإن ذلك دليل على ضعف إيمانه

و شرط تعالى في الإيمان عدم الريب و هو الشك لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني بما أمر الله بالإيمان به

الذي لا يعتريه شك بوجه من الوجوه.

{أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة

فإن الصدق دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة و برهان

- و أعظم ذلك دعوى الإيمان الذي هو مدار السعادة و الفوز الأبدي و الفلاح السرمدى

فمن ادعاه و قام بواجباته و لوازمه فهو الصادق المؤمن حقا

- و من لم يكن كذلك علم أنه ليس بصادق في دعواه و ليس لدعواه فائدة

فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى 15

فإثباته و نفيه من باب تعليم الله بما في القلب و هذا سوء أدب و ظن بالله و لهذا قال:

{ **قُلْ** } يأيها النبي لهؤلاء الأعراب:- (**أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ**) (أَتَحْبَرُونَ اللَّهَ **بِدِينِكُمْ**) و بما في ضمائرکم ○ و هذا شامل للأشياء كلها التي من جملتها ما في القلوب من الإيمان و الكفران و البر و الفجور

(**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)

فإنه تعالى يعلم ذلك كله و يجازى عليه إن خيراً فخير و إن شراً فشر.

هذه حالة من أحوال من ادعى لنفسه الإيمان و ليس به

– فإنه إما أن يكون ذلك تعليمًا لله و قد علم أنه عالم بكل شيء

–و إما أن يكون قصدهم بهذا الكلام المنة على رسوله و أنهم قد بذلوا له و تبرعوا بما ليس من مصالحهم

بل هو من حظوظه الدنيوية و هذا تجمل بما لا يجمل و فخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به

فإن المنة لله تعالى عليهم فكما أنه تعالى يمن عليهم بالخلق و الرزق و النعم الظاهرة و الباطنة

فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام ومنته عليهم بالإيمان أعظم من كل شيء **16**

و لهذا قال تعالى: { **يُثْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا** } يَمُنُّ هؤلاء الأعراب عليك بإسلامهم و متابعتهم و نصرتهم لك

(**قُلْ**) لهم:- (**لَا تَسْمُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ**) دخولكم في الإسلام فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم

(**بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**) و لله المنة عليكم فيه (**أَنْ هَدَيْتُكُمْ**) وفقكم (**لِلْإِيمَانِ**) به و برسوله

(**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) في إيمانكم كما قال النبي ﷺ

*البخارى 4330 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ يَ وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ يَ وَ عَالَةً (=فقراء) فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ يَ» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمَنُ

قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمَنُ قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ:

جِئْتَنَا كَذَا وَ كَذَا أَرْضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَ الْبَعِيرِ وَ تَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رَحَالِكُمْ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَ شِعْبَهَا الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَ النَّاسُ دِتَارُ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ

{ **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** } أى: الأمور الخفية فيهما التي تخفى على الخلق كالذي في لجج البحار

و مهامه القفار و ما جنه الليل أو وراه النهار يعلم قطرات الأمطار و حبات الرمال و مكنونات الصدور

و خبايا الأمور [الأنعام: 59] { **وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ** }

يحصي عليكم أعمالكم و يوفيكُم إيها و يجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة و حكمته البالغة **18**

50-سورة ق-مكية يس

قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾
 إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾
 بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
 وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾
 تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾
 وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾
 كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوسُفَ
 كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

صحيح مسلم (891)

انكار المشركين للبعث و أدلته و ثبوته 11-1

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ أَبَا وَقْدٍ اللَّيْثِيَّ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟
 فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) وَ (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)

*مسلم (8736) عَنْ بِنْتِ لِحَارِثَةَ بِنِ النَّعْمَانِ قَالَتْ: «مَا حَفِظْتُ (ق) إِلَّا مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ» قَالَتْ: وَ كَانَ تَنْوَرُنَا وَ تَنْوَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحِدًا (=إشارة إلى حفظها ومعرفتها بأحوال النبي ﷺ وقربها من منزله)

قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ {

يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها كثير الوجوه كثير البركات جزيل المبرات.

و المجد: سعة الأوصاف و عظمتها

و أحق كلام يوصف بهذا هذا القرآن الذي قد احتوى على علوم الأولين و الآخرين

الذي حوى من الفصاحة أكملها و من الألفاظ أجزلها و من المعاني أعمها وأحسنها

و هذا موجب لكمال اتباعه و سرعة الانقياد له و شكر الله على المنة به و لكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله

قدرها كقوله {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42] 1

{بَلْ عَجِبُوا} أي: المكذبون للرسول ﷺ {أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} يندرهم ما يضرهم و يأمرهم بما ينفعهم

و هو من جنسهم يمكنهم التلقي عنه و معرفة أحواله و صدقه

فتعجبوا من أمر لا ينبغي لهم التعجب منه بل يتعجب من عقل من تعجب منه

{فَقَالَ الْكَافِرُونَ} الذين حملهم كفرهم و تكذيبهم لا نقص بذكائهم و آرائهم

{هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} أى: مستغرب و هم في هذا الاستغراب بين أمرين:

1- إما صادقون في استغرابهم و تعجبهم فهذا يدل على غاية جهلهم و ضعف عقولهم بمنزلة المجنون الذي يستغرب كلام العاقل و بمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان و بمنزلة البخيل الذي يستغرب سخاء أهل السخاء فأى ضرر يلحق من تعجب من هذه حاله؟ و هل تعجبه إلا دليل على زيادة و ظلمه و جهله؟

2- و إما أن يكونوا متعجبين على وجه يعلمون خطأهم فيه فهذا من أعظم الظلم و أشنعه. كقوله **{أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ}** [يونس: 2] **2**

*ثم ذكر وجه تعجبهم فقال: **{أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا}**

فقاسوا قدرة من هو على كل شيء قدير الكامل من كل وجه بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه وقاسوا الجاهل الذي لا علم له بمن هو بكل شيء عليم

{ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} الوقوع -كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟ **3**

{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ} الذي يعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم في برزخهم

{وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} و قد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن التغيير و التبديل كل ما يجري عليهم في حياتهم و مماتهم و هذا الاستدلال بكمال علمه و سعته التي لا يحيط بها إلا هو على قدرته على إحياء الموتى **4**

{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ} كلامهم الذي صدر منهم إنما هو عناد و تكذيب للحق الذي هو أعلى أنواع الصدق

{لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} مختلط مشتبه لا يشتون على شيء و لا يستقر لهم قرار كقوله **{يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}** [الذاريات: 9] يصرف عنه من صُرف عن الإيمان به لإعراضه عن أدلة الله و براهينه اليقينية فلم يوفق إلى الخير- فتارة يقولون عنك: إنك ساحر و تارة مجنون و تارة شاعر.....

و كذلك جعلوا القرآن عضيئ:- أقساما (منهم من يقول انه سحر أو يقولون كهانة... ليصدوا الناس عنه) **5**

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ} لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة و شد رحل بل هو في غاية السهولة

فينظرون **{كَيْفَ بَنَيْنَاهَا}** قبة مستوية الأرجاء ثابتة البناء **{وَرَبَّيْنَاهَا}**

مزيئة بالنجوم الخنس و الجوار الكنس التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن و الملاحظة

{وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} لا ترى فيها عيبًا و لا فروجًا و لا خلالات و لا إخلالات كقوله

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3]

{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: 4] كليل متعب ان يري عيبا او نقصا

قد جعلها الله سقفا لأهل الأرض و أودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع **6**

{وإلى {وَالْأَرْضِ}

كيف **{مَدَدْنَهَا}** و وسعناها حتى أمكن كل حيوان السكون فيها و الاستقرار و الاستعداد لجميع مصالحه

{وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ} و أرساها بالجبال لتستقر من التزلزل و التموج

{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ} أى: من كل صنف من أصناف النبات

{بِهَيْجٍ}

حسن نضر التي تسر ناظرها و تعجب مبصرها و تقر عين رامقها لأكل بني آدم و أكل بهائمهم و منافعهم **7**

{تَبْصِرَةً} يتبصر بها من عمى الجهل **{وَذِكْرَى}**

يتذكر بها ما ينفع في الدين و الدنيا و يتذكر بها ما أخبر الله به و أخبرت به رسله و ليس ذلك لكل أحد

بل **{لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}**

إلى الله أى: خاضع خائف وجل رجاع الى الله-مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء و إجابة داعيه

و أما المكذب والمعرض فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون **8**

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا} و كذلك ما يخرج الله بالمطر

{فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ} و خص من تلك المنافع بالذكر الجنات المشتملة على الفواكه اللذيذة

من العنب و الرمان و الأترج و التفاح و غير ذلك من أصناف الفواكه

{وَحَبِّ الْحَصِيدِ} و التي تحتها من حب الحصيد أى: من الزرع المحصود من بر و شعير و ذرة و أرز و دخن

و غيره. فإن في النظر في هذه الأشياء **{بُصِيرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}** **9**

و من **{وَالنَّخْلِ}** الـ **{بِاسْقَنْتٍ}** أى: الطوال التي يطول نفعها و ترتفع إلى السماء

حتى تبلغ مبلغًا لا يبلغه كثير من الأشجار-حوالي 30 متر

{لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} متراكب بعضه فوق بعض- فتخرج من الطلع النضيد في قنوانها **10**

{رِزْقًا لِلْعِبَادِ} ما هو رزق للعباد قوتًا وأدماً وفاكهة يأكلون منه ويدخرون هم ومواشيهم

و حاصل هذا:-

- 1- أن ما فيها من الخلق الباهر و الشدة و القوة :- دليل على كمال قدرة الله تعالى
- 2- و ما فيها من الحسن و الإتقان و بديع الصنعة و بديع الخلقة :- دليل على أن الله أحكم الحاكمين
- 3- و ما فيها من المنافع والمصالح للعباد:- دليل على رحمة الله التي وسعت كل شيء وجوده الذي عم كل حي
- 4- و ما فيها من عظم الخلقة و بديع النظام:- دليل على أن الله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولم يكن له كفوًا أحد و أنه الذي لا تنبغي العبادة و الذل و الحب إلا له تعالى.
- 5- و ما فيها من إحياء الأرض بعد موتها :- دليل على إحياء الله الموتى ليجازيهم بأعمالهم

و لهذا قال: { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ }

كقوله { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [غافر: 57]

و أحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجذبت و قحطت فلا زرع فيها و لا نبات كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت 11

* و لما ذكرهم بهذه الآيات السماوية والأرضية خوفهم أخذات الأمم و ألا يستمروا على ما هم عليه من

التكذيب فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين فقال: **الْكَافِرُونَ**

{ **كَذَّبَتْ** } أى كذب الذين من **(قَبْلَهُمْ)** من الأمم رسلهم الكرام و أنبياءهم العظام ك **(قَوْمِ نُوحٍ)** كذبوا نوحا **عليه السلام**

تذكير بالامم السابقة المنكرة
بالبعث 12-15

{ **وَأَصْحَابُ الرِّيسِ** } البئر و هى بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام

{ **وَنُؤُودٌ** } كذبوا صالحًا 12

{ **وَعَادٌ** } و عاد كذبوا (هودًا) **(وَفِرْعَوْنُ)** { **وَالِخْوَنُ لُوطٌ** } كذبوا (لوطًا) 13

{ **وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ** } الشجر الكثير الملتف كذبوا (شعبيًا)

{ **وَقَوْمُ ثُبَيْعٍ** } **الْحَمِيرَى** - و قوم تبع و تبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام

فقوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم و لم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول و أي تبع من التبابعة لأنه - و الله أعلم - كان مشهورًا عند العرب لكونهم من العرب العرباء الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصًا مثل هذه الحادثة العظيمة.

{ **كُلٌّ** } مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ وَ هَؤُلَاءِ الْقُرُونِ

{ **كَذَّبَ الرُّسُلَ** } كَذَّبَ رَسُولَهُ وَ مَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ

قوله: { **كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ** } [الشعراء: 105]

وَ إِنَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ وَاحِدٌ فَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَوْ جَاءَهُمْ جَمِيعُ الرُّسُلِ كَذَّبُوهُمْ

(فَحَقَّ وَعِيدُ) فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم **14**

ثم استدل تعالى بالخلق الأول -و هو المنشأ الأول- على الخلق الآخرو هو النشأة الآخرة.
فكما أنه الذي أوجدهم بعد العدم كذلك يعيدهم بعد موتهم و صيرورتهم إلى الرفات و الرمم

فقال: {أَفَعَيَّنَا} أفعجزنا و ضعفت قدرتنا {بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ} ؟

ليس الأمر كذلك فلم نعجز و نعي عن ذلك-أَفَعَجَزْنَا عن ابتداع الخلق الأول الذي خلقناه و لم يكن شيئًا
فنعجز عن إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم

{بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ} شك

(مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) و ليسوا في شك من ذلك

و إنما هم في لبس من خلق جديد هذا الذي شكوا فيه و التبس عليهم أمره مع أنه لا محل للبس فيه
لأن الإعادة أهون من الابتداء

*البخارى-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَ شَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَ لَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ

وَ أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ: فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُؤَلَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لِي كُفْتًا أَحَدٌ **15**

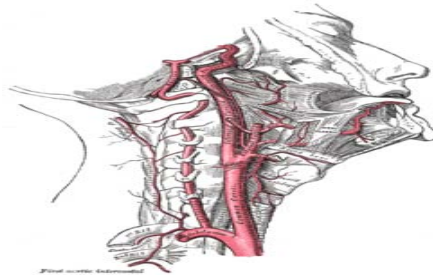
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
 إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
 وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾
 وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
 ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾
 الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُونَا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾
 مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾
 وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ الْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ
 وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

خلق الانسان و علمه و احواله 16-18

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ}

يخبر تعالى أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان ذكورهم و إناثهم

{وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} و أنه يعلم أحواله و ما يسره و يوسوس فى صدره



{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}

وأنه أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان و هو العرق المكتنف لشجرة النحر

* أى الملائكة {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: 85]

كما قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]

* و هذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه المطلع على ضميره و باطنه القريب منه فى جميع أحواله

فيستحي منه أن يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره و كذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه

على بال فيجلهم و يوقرهم ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه مما لا يرضي رب العالمين

* البخارى (6664) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ قَالَ

«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأَمْتِي عَمَّا وَسَّوَسْتُ أَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ» 16

و لهذا قال: {إِذْ يَنْتَقِلَى السَّمَاءَ} أى: الملوك- يتلقيان عن العبد أعماله كلها واحد

{عَنِ اليمين} يكتب الحسنات {و} الآخر {وَعَنِ الشِّمَالِ} يكتب السيئات و كل منهما

{قَمِيدٌ} بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له ملازم له - مترصد 17

{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ} خير أو شر {إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} أى: مراقب له حاضر لحاله

كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ 10 كِرَامًا كَاتِبِينَ 11 يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ 12} الانفطار 18

{وَجَاءَتْ} هذا الغافل المكذب بآيات الله {سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} الذى لا مرد له و لا مناص

*البخارى -6510 أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعٌ (مِنَ الْأَدَمِ) - أَوْ عَلَبَةٌ (مِنَ الْخَشَبِ) فِيهَا مَاءٌ يَشْكُ عَمْرُ - فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَ مَالَتْ يَدُهُ

{ذَلِكَ مَا} ما: 1- بمعري الذى 2-أو ما نافية اي لك ما كنت تقدر علي الفرار منه

{كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ} أى: تتأخر و تنكص عنه 19

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ}

اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب و المؤمنين ما وعدهم به من الثواب.

*الترمذى ت شاكر - 3243 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَ حَنَى جَبْهَتَهُ وَ أَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ»

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعَمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبَّنَا» 20

{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ} يسوقها إلى موقف القيامة-ملك يسوقها الي المحشر فلا يمكنها أن تتأخر عنه

{وَشَهِيدٌ} يشهد عليها بأعمالها خيرها و شرها -و ملك يشهد عليه بأعماله

و هذا يدل على اعتناء الله بالعباد و حفظه لأعمالهم و مجازاته لهم بالعدل فهذا الأمر مما يجب أن يجعله

العبد منه على بال و لكن أكثر الناس غافلون 21

و لهذا قال: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا} يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام توبيخًا و لومًا و تعنيفًا-

أى: لقد كنت مكذبًا بهذا تاركًا للعمل له فالآن

{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} الذى غطى قلبك فكش نومك و استمر إعراضك

حقيقة البعث
و الموت و حوار
الكافر مع قرينه
يوم القيامة 19-30

{فَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} قوى-ينظر ما يزعجه و يروعه من أنواع العذاب و النكال.

*أو هذا خطاب من الله للعبد فإنه في الدنيا في غفلة عما خلق له و لكنه يوم القيامة ينتبه ويزول عنه وسنه و لكنه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط و لا يستدرك الفائت و هذا كله تخويف من الله للعباد و ترهيب بذكر ما يكون على المكذبين في ذلك اليوم العظيم **22**

{وَقَالَ قَرِينُهُ} أى:قرين هذا المكذب المعرض من الملائكة الذين وكلهم الله على حفظه وحفظ أعماله فيحضره يوم القيامة و يحضر أعماله و يقول:-

{هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ}

قد أحضرت ما جعلت عليه-محفوظ معد حاضر-من حفظه و حفظ عمله فيجازى بعمله **23**

و يقال لمن استحق النار: **{أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}**

كثير الكفر والعناد لآيات الله المكثرة من المعاصي المجترى على المحارم و المآثم **24**

{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ} يمنع الخير الذي عنده الذي أعظمه الإيمان بالله وملائكته و كتبه و رسله **[مَنَّاعٍ]** لنفع ماله و بدنه **{مُعْتَدٍ}** على عباد الله و على حدوده

{مُزَيِّبٍ} أى: شاك في وعد الله و وعيده فلا إيمان و لا إحسان

و لكن وصفه الكفر و العدوان و الشك و الريب و الشح و اتخاذ الآلهة من دون الرحمن **25**

{الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} عبد معه غيره ممن لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا

{فَأَلْقِيَاهُ} أيها الملكان القرينان **{فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}** الذي هو معظمها و أشدها و أشنعها **26**

{قَالَ قَرِينُهُ} الشيطان متبرئا منه حاملا عليه إثمه

{رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} لأنني لم يكن لي عليه سلطان و لا حجة و لا برهان

{وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} و لكن كان في الضلال البعيد فهو الذي ضل و أبعد عن الحق باختياره

كما قال في الآية الأخرى:-

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ

سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ} **[إبراهيم: 22]** **27**

قال الله تعالى مجيبا لاختصامهم: **{قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ}** أى:لا فائدة في اختصامكم عندي

{و} الحال أنى **{وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}** جاءتكم رسلى بالآيات البينات و الحجج الواضحات

و البراهين الساطعات فقامت عليكم حجتى و انقطعت حجتكم و قدمتم علي بما أسلفتم من الأعمال التي
وجب جزاؤها 28

{ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ } أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله و أخبر به لأنه لا أصدق من الله قيلا و لا أصدق حديثا.

{ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ } بل أجزيهم بما عملوا من خير و شر فلا يزداد في سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم 29

يقول تعالى مخوفاً لعباده: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ} و ذلك من كثرة ما ألقى فيها

{وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} لا تزال تطلب الزيادة من المجرمين العاصين غضباً لربها و غيظاً على الكافرين.

و قد وعدها الله مألها

ثواب المؤمنين و
صفاتهم 31-35

*البخارى 485 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبَّرِينَ

وَ قَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ:

أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي

وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا مَلُؤُهَا

فَإِنَّمَا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلُهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ فَهَذَاكَ تَمْتَلِئِي وَ يَزُودُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ

وَ لَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا

وَ أَمَّا الْجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا 30

{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ } قربت بحيث تشاهد و ينظر ما فيها من النعيم المقيم والحيرة والسرور و إنما أزلفت و قربت

{ لِلْمُتَّقِينَ عِوَاذَ بَعِيدٍ } لأجل المتقين لربهم التاركين للشرك صغيره و كبيره الممثلين لأوامر ربهم المنقادين له 31

و يقال لهم على وجه التهنة:

{ هَذَا مَا تُوعَدُونَ } هذه الجنة و ما فيها مما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين هي التي وعد الله

{ لِكُلِّ آوَابٍ } أي: رجاء إلى الله في جميع الأوقات بذكره و حبه و الاستعانة به و دعائه و خوفه و رجائه.

{ حَفِيفٍ }

يحافظ على ما أمر الله به بامتناله على وجه الإخلاص و الإكمال له على أكمل الوجوه حفيظ لحدوده 32

{ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ } خافه على وجهه -1- المعرفة بربه 2- و الرجاء لرحمته

و لازم على خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن أعين الناس و هذه هي الخشية الحقيقية

و أما خشيته في حال نظر الناس و حضورهم فقد تكون رياء و سمعة فلا تدل على الخشية

و إنما الخشية النافعة خشية الله في الغيب و الشهادة

*و يحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب

و أن هذا مقابل للشهادة حيث يكون الإيمان و الخشية ضروريًا لا اختياريًا حيث يعاين العذاب و تأتي آيات الله و هذا هو الظاهر .

*البخارى-6806 عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ

{وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} أى: وصفه الإنابة إلى مولاه و انجذاب دواعيه إلى مرضيه **33**

و يقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار: **{أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ}**

دخولا مقرونا بالسلامة من الآفات و الشرور مأمونا فيه جميع مكاره الأمور فلا انقطاع لنعيمهم و لا كدر و لا تنغيص

{ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} الذي لا زوال له و لا موت و لا شيء من المكدرات **34**

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا} كل ما تعلق به مشيئتهم فهو حاصل فيها

{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و أعظم ذلك و أجله و أفضله:-النظر إلى وجه الله الكريم و التمتع بسماع كلامه و التمتع بقربه نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

*ابن ماجه 187-عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ:

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26] وَقَالَ:

" إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٌ:-

يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يَنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: وَ مَا هُوَ؟

أَلَمْ يَنْقُلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَ يُبَيِّضُ وُجُوهَنَا وَ يُدْخِلُنَا الْجَنَّةَ وَ يُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ-يَعْنِي إِلَيْهِ-

وَ لَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ **35**

- وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
 فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
 وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾
 يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾
 يَوْمَ تَشَقُّوْ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٤٥﴾
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات- مكية - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمِلَتْ وَقرًا ﴿٢﴾ فَأَلْجَرِيَتْ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْمَقَسَمَتْ أَمْرًا ﴿٤﴾
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعَدُ ﴿٦﴾

يقول تعالى -مخوفًا للمشركين المكذبين للرسول:- **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ}** أما كثيرة
 (هَمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ) هؤلاء (بَطْشًا) قوة وآثارًا في الأرض.

ولهذا قال: **{فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ}** فطوفوا في البلاد و سلكوا كل طريق طلبا للهرب من الهلاك

تهديد لمنكري البعث

و توجيهات للرسول 36-45

ف- **{هَلْ مِنْ مَحِيصٍ}** لا مفر لهم من عذاب الله حين نزل بهم 36

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} عظيم حي ذلك زكى

{أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ} وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله و استمعها استماعًا يسترشد به و قلبه

{شَهِيدٌ} حاضر فهذا له أيضا ذكرى و موعظة و شفاء و هدى 37

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} هذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة و مشيئته النافذة

{وَمَا يَبْنِيهِمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} أولها يوم الأحد و آخرها يوم الجمعة

{وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} تعب و لا نصب و لا لغوب و لا إعياء 38

{فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ} من الذم لك و التكذيب بما جئت به

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ }

و اشتغل عنهم و اله بطاعة ربك و تسبيحه أول النهار(قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ)

(وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) و آخر النهار و فحى أوقات الليل و أدبار الصلوات

فإن ذكر الله تعالى مسل للنفس مؤنس لها مهون للصبر.

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ} التسبيح بعد الصلاة 40

{وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ} بقلبك نداء المنادي و هو إسرأفيل عليه السلام حين ينفخ في الصور

{مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} من الخلق 41

{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ} أى: كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة

{بِالْحَقِّ} الذي لا شك فيه و لا امتراء {ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} من القبور الذي انفرد به القادر على كل شيء 42

و لهذا قال: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ} 43 يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ {أى: عن الأموات

{عَنْهُمْ سَرَعًا} أى: يسرعون لإجابة الداعي لهم إلى موقف القيامة

*مسلم -2278 أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَ أَوَّلُ شَافِعٍ وَ أَوَّلُ مُشَفِّعٍ»

{ذَلِكَ حَشْرُ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} أى: هين على الله يسير لا تعب فيه و لا كلفة

قكوله {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر: 50]

{مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [لقمان: 28]

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} لك مما يحزنك من الأذى

{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} أى: مسلط عليهم {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}

و لهذا قال: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} ^ط

و التذكير:- هو تذكير ما تقرر في العقول والفطر من:-

1-محبة الخير و إيثاره و فعله 2-و من بغض الشر و مجانبته

و إنما يتذكر بالتذكير من يخاف وعيد الله و أما من لم يخف الوعيد و لم يؤمن به

51-تفسير سورة الذاريات-و هي مكية-

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: أَنَّهُ صَعِدَ مِنْبَرِ الْخُوفَةِ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَنْ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ قَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا} ؟

قَالَ: الرِّيحُ قَالَ: {فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} ؟ قَالَ: السَّحَابُ.

اثبات البعث و عاقبة منكريه 14-1

قَالَ: {فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} ؟ قَالَ: السُّفُنُ. قَالَ: {فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا} ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ رواه الطبري في تفسيره

هذا قسم من الله الصادق في قبيله بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح و المنافع ما جعل على أن وعده صدق و أن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال لواقع لا محالة ما له من دافع فإذا أخبر به الصادق العظيم و أقسم عليه و أقام الأدلة والبراهين عليه فلم يكذب به المكذبون و يعرض عن العمل له العاملون.

{وَالذَّرِيَّتِ} الرياح التي تذرروا في هبوبها-أقسم الله تعالى بالرياح المثيرات للتراب

{ذُرُوءًا} بلينها و لطفها و لطفها و قوتها و إزعاجها.

{فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} السحاب تحمل الماء الكثير الذي ينفع الله به البلاد و العباد-الوقر:الحمل الثقيل

{فَالْجَارِيَّتِ يُسْرًا} إما النجوم التي تجري على وجه اليسر و السهولة

1-فتزين بها السماوات2-و يهتدى بها في ظلمات البر و البحر 3-و ينتفع بالاعتبار بها

أو السحب-أو هي السفن التي تجري في البحار جرياً ذا يسر و سهولة

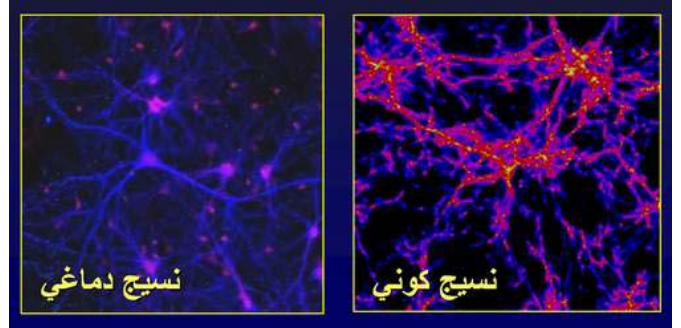
{فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا} الملائكة التي تقسم الأمر و تدبره بإذن الله فكل منهم قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا و أمور الآخرة لا يتعدى ما قدر له و ما حد و رسم و لا ينقص منه.

{إِنَّمَا تُوعَدُونَ} إن الذي توعدون به -أيها الناس- من البعث و الحساب (لَصَادِقٌ) لكائن حق يقين

(وَأَنَّ الدِّينَ) و إن الحساب و الثواب على الأعمال (لَوَقِعٌ) لكائن لا محالة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾
 الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾
 ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾
 وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُرْبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾
 فَرَآهُ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ بَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَالِمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
 قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) الطرائق الحسنة التي تشبه حبك الرمال و مياه الغدران حين يحركها النسيم 7



{إِنَّكُمْ} أيها المكذبون لمحمد ﷺ {لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} منكم من يقول ساحر و منكم من يقول كاهن 8

و منكم من يقول مجنون و منكم من يقول كاذب و منكم من يقول شاعر

{يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ} يصرف (عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ) صُرفَ عن الإيمان و انصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية و براهينه

و اختلاف قولهم دليل على فساد و بطلانه 9

{قُلِ} لعن- قاتل الله (الْخَرَصُونَ) الذين كذبوا على الله و جحدوا آياته و خاضوا بالباطل ليدحضوا به الحق 10

{الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ} لاهون غافلون 11

{يَسْأَلُونَ} على وجه الشك و التكذيب-و العناد و الاستبعاد

(أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ) أي: متى يبعثون مستبعدين لذلك فلا تسأل عن حالهم و سوء مآلهم **12**

{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنَّنُونَ}

يعذبون بسبب ما انطوا عليه من خبث الباطن و الظاهر كما يفتن الذهب علي النار **13**

و يقال لهم {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} العذاب و النار الذي هو أثر ما افتنوا به من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر

{هَذَا} العذاب الذي وصلتكم إليه هو {الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ}

فالآن تمتعوا بأنواع العقاب و النكال و السلاسل و الأغلال و السخط و الوبال **14**

يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين و أعمالهم التي أوصلتهم إلى ذلك الجزاء:-

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ} أي: الذين كانت التقوى شعارهم و طاعة الله دثارهم {فِي جَنَّاتٍ}

مشمولات على جميع أصناف الأشجار و الفواكه التي يوجد لها نظير في الدنيا و التي لا يوجد لها نظير

مما لم تنظر العيون إلى مثلهو لم تسمع الآذانو لم يخطر على قلوب العباد

{وَعِيُونٍ} سارحة تشرب منها تلك البساتين و يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً **15**

جزاء المتقين و اوصافهم 15-19

{ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ}

أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم من جميع أصناف النعيم فأخذوا ذلك راضين به قد قرت به أعينهم و فرحت به نفوسهم و لم يطلبوا منه بدلا و لا ييغون عنه حولا و كل قد ناله من النعيم ما لا يطلب عليه المزيد

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ} الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم {مُحْسِنِينَ}

و هذا شامل لإحسانهم :-

1-عبادة ربهم بأن يعبدوه كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم

2-و للإحسان إلى عباد الله ببذل النفع و الإحسان من مال أو علم أو جاه أو نصيحة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو غير ذلك من وجوه الإحسان و طرق الخيرات.

حتى إنه يدخل في ذلك الإحسان بالقول و الكلام اللين و الإحسان إلى الممالك و البهائم المملوكة و غير المملوكة

*و من أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق ((صلاة الليل)) الدالة على الإخلاص و تواطؤ القلب و اللسان **16**

و لهذا قال: {كَانُوا قَلِيلًا} المحسنون

{مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} ينامون

و أما أكثر الليل:- فإنهم قانتون لربهم ما بين صلاة و قراءة و ذكر و دعاء و تضرع **17**

{وَبِالْأَسْحَارِ} التي هي قبيل الفجر {هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الله تعالى فمدوا صلاتهم إلى السحر

ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه و للاستغفار بالأسحار فضيلة

و خصيصة ليست لغيره كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان و الطاعة: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} عمران 17

مسلم 758 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ:- هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟

هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ **18**

{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ} واجب و مستحب

{لِلسَّائِلِ} للمحتاجين الذين يطلبون من الناس {وَالْمَحْرُومِ} الذين لا يطلبون منهم

البخاري -1479 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَ اللَّقْمَتَانِ وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ وَ لَكِنَّ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ بِهِ

فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَ لَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» **19**

آيات الله و عظمة قدرته 20-23

يقول تعالى -داعياً عباده إلى التفكير و الاعتبار:- {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينِ}

و ذلك شامل لنفس الأرض وما فيها من جبال و بحار و أنهار و أشجار و نبات تدل المتفكر فيها المتأمل

لمعانيها على عظمة خالقها وسعة سلطانه و عظيم إحسانه وإحاطة علمه بالظواهر والبواطن.

و كذلك في نفس العبد من العبر و الحكمة و الرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد

و أنه لم يخلق الخلق سدى **20**

{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} مَنْ تَفَكَّرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ عَرَفَ أَنَّهُ إِفْمًا خُلِقَ وَ لُيِّنَتْ مَفَاصِلُهُ لِلْعِبَادَةِ **21**

{وَفِي السَّمَاءِ} مادة {رَزَقَكَ} من الأمطار و صنوف الأقدار الرزق الديري و الدنيوي

{وَمَا تُوعَدُونَ} من الجزاء في الدنيا والآخرة فإنه ينزل من عند الله كسائر الأقدار.

فلما بين الآيات و نبه عليها تنبيهاً ينتبه به الذكي اللبيب أقسم تعالى على أن وعده وجزاءه حق

و شبه ذلك بأظهر الأشياء لنا و هو النطق **22**

فقال: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ}

فكما لا تشكون في نطقكم فكذلك لا ينبغي الشك في البعث بعد الموت **23**

قصة ضيف إبراهيم 24-37

{هَلْ} أما {أَنْتَ} (جاءك {حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُمِ})

و نبأهم الغريب العجيب و هم: الملائكة الذين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط

و أمرهم بالمرور على إبراهيم فجاؤوه في صورة أضياف **24**

{إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ} مجيباً لهم

{سَلَامٌ} عليكم -فرده افضل من التسليم كقوله:-

{وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا [النساء: 86]

أنتم {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} جبريل و ميكائيل و اسرافيل قدموا في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة

لهذا قال {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} فأحب أن تعرفوني بأنفسكم و لم يعرفهم إلا بعد ذلك **25**

{فَرَأَى} ذهب سريعاً في خفية ليحضر لهم قراهم {إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} مشوي علي الرِّضْف **26**

{فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ} ادناهم منهم و عرض عليهم الأكل

و هَذِهِ الْآيَةُ انْتِظَمَتْ آدَابُ الضِّيَافَةِ:

1- فَإِنَّهُ جَاءَ بِطَعَامِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِسُرْعَةٍ

2- وَ لَمْ يَمْتَنِّ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا فَقَالَ:- نَأْتِيكُمْ بِطَعَامٍ؟

3- بَلْ جَاءَ بِهِ بِسُرْعَةٍ وَ خَفَاءٍ وَ أَتَى بِأَفْضَلِ مَا وَجَدَ مِنْ مَالِهِ وَ هُوَ عِجْلٌ فَتَنَّى سَمِينٌ مَشْوِيٌّ

4- فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ لَمْ يَضَعْهُ وَ قَالَ: اقْتَرِبُوا بَلْ وَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

5- وَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ أَمْرًا يَشُقُّ عَلَى سَامِعِهِ بِصِغَةِ الْجَزْمِ بَلْ قَالَ: {قَالَ أَلَا نَأْكُلُوتَ} عَلَى سَبِيلِ الْعَرْضِ وَ التَّلَطُّفِ

حين رأى أيديهم لا تصل إليه

كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ الْيَوْمَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَفَضَّلَ وَ تُحْسِنَ وَ تَتَصَدَّقَ فَافْعَلْ **27**

{فَأَوْجَسَ} أحسَّ {مِنْهُمْ خِيفَةً} خوفا في نفسه

{قَالُوا لَا تَخَفْ} و أخبروه بما جاؤوا له

{وَبَشَّرُوهُ} بأن زوجته «سَارَة» ستلد له ولداً {يُعْلَمُ عَلَيْهِمُ} و هو: إسحاق عليه السلام البشارة له هـ ي بشارة لها **28**

فلما سمعت المرأة البشارة {فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ} {فرحة مستبشرة} {فِي صَرَفٍ} صحيحة- و رنة- و هي قولها [يا ويلتى]

{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} و هذا من جنس ما يجرى من النساء عند السرور و نحوه من الأقوال

و الأفعال المخالفة للطبيعة و العادة-لطمت تعجبا كما تتعجب النساء في الامر الغريب

{وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} أنى لي الولد و أنا عجوز

1- قد بلغت من السن ما لا تلد معه النساء و مع ذلك 2- فأنا عقيم غير صالح رحمي للولادة أصلاً

و قد كنت في حال الصبا لا أحبل-فثم مانعان كل منهما مانع من الولد

3-و قد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها: {وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} [هود: 72] **29**

{قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ^ط} الله الذي قدر ذلك و أمضاه فلا عجب في قدرة الله تعالى

{إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها- حكيم في أقواله و أفعاله

(الْعَلِيمُ) بما تستحقون من الكرامة -فسلموا لحكمه و اشكروه على نعمته **30**